أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
18 أغسطس 2025
24 صفر 1447م
العدد 41

حروبنا الأخرى

دوى وجع إنساني في مروي هزّ البلاد؛ إذ سقطت طبيبة شابة بستة عشر طعنة على يد طليقها في مشهد مأساوي، لتتحول جثتها إلى مرآة دامية تعكس حربًا صغرى تُشنّ على النساء.

قرارات البرهان

أصدر القائد العام للقوات المسلحة، الفريق أول عبد الفتاح البرهان، خلال اليومين الماضيين، سلسلة قرارات أعادت ترتيب بعض ملامح المشهد العسكري في السودان. شملت هذه القرارات تعديلات محدودة في هيئة القيادة، إلى جانب إحالة خمسة ضباط من رتبة الفريق، وثلاثة وعشرين من رتبة اللواء، وثمانية وخمسين من رتبة العميد إلى التقاعد. كما أصدر البرهان قراراً موازياً يقضي بإخضاع ما أسماه «القوات المساندة» لقانون القوات المسلحة.

هذه القرارات، في ظاهرها، يمكن أن تُقرأ كخطوة إصلاحية تهدف إلى تعزيز الانضباط داخل المؤسسة العسكرية، خاصة في ظل اشتداد المعارك في عدد من الولايات. لكنها في العمق أثارت جدلاً واسعاً، ليس فقط لأنها تزامنت مع لقاء البرهان في جنيف بمستشار الرئيس الأمريكي لشؤون أفريقيا، مسعد بوليس، يوم الاثنين الماضي، وإنما أيضاً بسبب طبيعة الأسماء الواردة في كشوفات الإحالة، وما ارتبط بها من سجالات تاريخية وسياسية.

فالعديد من الأسماء التي شملتها الإحالات لم تكن تخفي انتماءها للحركة الإسلامية، رغم أن قانون القوات المسلحة يحظر أي نشاط سياسي أو انتماء حزبي على الضباط. إلى جانب ذلك، ضمت القائمة ضباطاً ارتبطت أسماؤهم بملفات بالغة الحساسية، مثل مجزرة الثالث من يونيو 2019 أمام بوابات القيادة العامة للقوات المسلحة، التي مثّلت واحدة من أكثر اللحظات مأساوية في ذاكرة الثورة السودانية. كما ضمت أسماءً متهمة بالتورط في إشعال الحرب الراهنة، ومن بينهم اللواء عباس الداروتي.

لهذا السبب جاءت ردود الفعل متباينة. هناك قطاعات واسعة من السودانيين رأت في القرارات نوعاً من الاستجابة لمطلب إصلاح الجيش وتطهيره من العناصر المسيسة، أو المتورطة في جرائم، وهو ما منحها قدراً من الارتياح. لكن في الوقت نفسه ساد شعور بالحذر والريبة، إذ يدرك كثيرون أن إصلاح المؤسسة العسكرية لا يمكن أن يتحقق بمجرد قرارات إحالة وترقيات. فالجيش السوداني، الذي تراكمت داخله التشوهات لعقود بفعل التسييس والانقلابات والحروب، يحتاج إلى مشروع متكامل طويل الأمد يعالج بنيته وعقيدته وطرق إدارته وعلاقته بالمجتمع والدولة.

الأمر الأكثر حساسية يتصل بما وصفه البرهان بـ«القوات المساندة». هذه التشكيلات لا تشكل جسماً واحداً يمكن إخضاعه بقرار، وإنما هي منظومة متشعبة ومتشابكة المصالح والولاءات. فهناك كتائب الحركة الإسلامية مثل «البراء» وأخواتها، وهي تشكيلات عقائدية بالأساس، تدين بالولاء لقيادات تنظيمية، وليست مؤسسات دولة. قوتها تكمن في أنها شبكة ممتدة، تضم ضباطاً في الجيش والشرطة والمخابرات، وقد جرى تصميمها منذ البداية لتكون فوق القانون. ومن ثم فإن إخضاعها لقانون القوات المسلحة يبدو نظرياً أكثر من كونه واقعياً، إذ إن التجربة السودانية أثبتت أن مثل هذه التشكيلات لا تعود إلى بيت الطاعة إلا بحلها وتجريم الانتماء إليها.

وفي جانب آخر، تبرز قوات مثل «القوات المشتركة» و«درع السودان»، وهما أيضاً تعبير عن واقع أكثر تعقيداً، حيث تتسم تركيبتهما بالفوضى التنظيمية والرتب العشوائية. مثل هذه القوات تكشف عمق المشكلة، إذ لم يعد التحدي مقتصراً على الأجسام العقائدية، بل امتد ليشمل قوى مسلحة ظهرت خارج السياق العسكري التقليدي، الأمر الذي يضاعف من تعقيدات الإصلاح ويجعل أول خطوة فيه هي إعادة تعريف الانضباط العسكري ذاته.

في ظل هذا المشهد، تبدو قرارات البرهان خطوة ذات مغزى، لكنها غير كافية لإحداث تحول حقيقي. فالجيش السوداني، وقد أنهكته الحروب والانقسامات والتسييس، يحتاج إلى أكثر من مجرد كشوفات إحالة. الإصلاح الحقيقي يتطلب إعادة بناء العقيدة القتالية على أسس وطنية جامعة، وإعادة تعريف العلاقة بين الجيش والدولة بحيث يكون الجيش حامياً للدستور والسيادة لا طرفاً في الصراع السياسي. كما يتطلب الأمر شجاعة سياسية لتجريم وجود المليشيات العقائدية والعشوائية، وإعادة بناء المنظومة الأمنية على قاعدة مهنية محضة.

الارتباط الزمني بين قرارات البرهان ولقائه بمستشار الرئيس الأمريكي يضيف بُعداً آخر للجدل. فالبعض قرأ في هذه القرارات محاولة للاستجابة إلى ضغوط دولية وإظهار جدية في مسار الإصلاح، بينما رآها آخرون مجرد تكتيك سياسي لا يمس جوهر الأزمة. وبين هذا وذاك يظل السؤال معلقاً: هل نحن أمام بداية إصلاح حقيقي للجيش السوداني، أم أمام خطوة شكلية تفتقر إلى الاستدامة والجرأة الكافية؟

المؤكد أن إصلاح المؤسسة العسكرية عملية معقدة تتطلب وقتاً وإرادة سياسية ومجتمعية متضافرة. والقرارات الأخيرة، مهما بلغت أهميتها، لن تكون سوى مدخل أولي ما لم تُستكمل بقرارات أشمل تضع حداً للفوضى المسلحة، وتعيد تعريف الجيش باعتباره مؤسسة وطنية فوق الانقسامات، وليست مجرد لاعب في صراع السلطة.

أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله

تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA، CENTERAL، KAMPALA، CENTERAL DIVISION، BUKESA، NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

الغلاف

وجهات نظر

خراج الروح
طاهر المعتصم
7-8

الصحف السودانية: عودة حقيقية أم ولادة جديدة مشوهة
حيدر المكاشفي
9-10

صراع الفرقاء السودانيين: النزعة الرغبوية والفجور في الخصومة
د. عصام عباس
14-16

حروب الحركة الاسلامية
وائل محجوب
17-18

التجارة الخارجية السودانية في ظل العقوبات والحرب ومآلات الإجراءات الإماراتية الأخيرة: الذهب نموذجًا
عمر سيد أحمد
19-25

الناطق الأخرس: هل ضاق الوطن أم كبرت الزنزانة؟
خالد فضل
29-30

الفِجّة
عثمان يوسف خليل
31-32

مجلس الأمن يرفض السلطتين في السودان: بين الضوء الأخضر للتفاوض وحسابات الميدان
حاتم أيوب أبو الحسن
36-37

تاريخ الحروب في السودان(2-3)
مناضل الحلاوي
38-39

انهيار وشيك رغم مظاهر السيطرة
ندى أبو سن
43-45

لجان الاستنفار: الدولة الموازية التي تبتلع الحكم المحلي
محمد احمد شبه
46-47

تقرير
لقاء سري وأمل علني.. هل تنجح سويسرا في وقف الموت؟
4-6

غلاف
روعة.. طلاق دامٍ
11-13

مأساة
كادوقلي تموت جوعًا.. أوراق التبلدي.. وجبة أخيرة في الحصار
26-28

انتهاكات
مسؤولة أممية تلتقي ناجيات من العنف الجنسي في السودان وتسمع «أسوأ» قصة اغتصاب
33-35

دولية
خلف كواليس القمة التاريخية بين ترامب وبوتين
40-42

تقرير
تغيرات في المشهد.. شاير الإثيوبية... من بلدة حدودية إلى مركز إقليمي لتهريب الذهب السوداني
51-53

حكاية من بيئتي
غنم السيدة محمد احمد الفيلابي 54-56

الروائي صنع الله إبراهيم
رواية (تلك الرائحة) مؤسِّسة في أدب السجون
57-60

حوار

نائبة رئيس الهيئة القيادية لصمود:
حكومتان موازيتان تفتحان باب تفكيك السودان
48-50

تقرير
من طبيب أسنان إلى فنان: كيف لجأ سوداني منفي إلى التصوير الفوتوغرافي كمتنفس للصدمة
61-63

لقاء سري وأمل علني..

هل تنجح سويسرا في وقف الموت؟

ملخص

اللقاء السري بين البرهان ومستشار الرئيس الأمريكي في سويسرا كشف عن مسار تفاوضي جديد لإنهاء الحرب، لكنه أثار جدلًا واسعًا بين مرحّب يرى فيه بارقة أمل، ورافض يخشى أن يكون مجرد انبطاح سياسي أو خطوة تعيد إنتاج النموذج الليبي.

أكدت واشنطن أنه لا حل عسكريًا للأزمة، والتقت أيضًا قيادات من الدعم السريع، ما يعكس ضغوطًا دولية متزايدة لفرض تسوية سياسية، فيما يسعى البرهان للشرعية وترامب لمكسب سياسي، وسط تساؤل جوهري: ماذا يريد السودانيون حقًا؟

يزداد على الأرض المشهد مأساوية؛ من الفاشر حيث الموت والحصار والجوع، إلى نيالا التي تعيش انفلاتًا أمنيًا وغلاءً فاحشًا، مرورًا بكردفان الممزقة بين الجيش والدعم السريع، وأصوات الأمهات تستغيث: «ليت سويسرا تنجح في وقف الموت».

اللاجئون في دول الجوار يعيشون مآسي جديدة من الجوع والمرض، ويخشى السودانيون أن تتحول خطوات السلام إلى نسخة ليبية تقسم البلاد وتبقيها رهينة السلاح، فيما لا يزال الأمل البسيط يتردد في العبارة الشعبية «السلام سمح».

أفق جديد

في خطوة مفاجئة، التقى البرهان سرًا بمستشار الرئيس الأمريكي في سويسرا لبحث السلام في السودان، قبل أن يتسرب الخبر وتتصاعد ردود الأفعال بين مرحّب ورافض.

واشنطن تؤكد أنه لا حل عسكريًا، بينما يسعى الرئيس دونالد ترامب لتحقيق مكسب سياسي وعبد الفتاح البرهان لنيل الشرعية.

في الميدان يصرخ السودانيون المنهكون من الجوع والحصار: «السلام سمح»، لكنهم يخشون أن يتحول المسار الجديد إلى نسخة ليبية جديدة تبقي البلاد أسيرة السلاح والانقسام.

اللقاء السري

في بلد لم تترك الحرب فيه مكانًا إلا واخترقته، وفي عاصمة مؤقتة يعجز سكانها عن الاحتفاظ برباطة جأشهم تحت وطأة الحر والرطوبة، «بورتسودان» مدينة لا تحفظ الأسرار، حتى حين يتعلق الأمر برئيس مجلس السيادة القائد العام للجيش عبد الفتاح البرهان، فما كان «سريًا للغاية» صباح الثلاثاء، أصبح حديث الجميع: البرهان التقى الأمريكيين!

في سرية تامة، هبط البرهان في «سويسرا»، حيث اجتمع بمسعد بولس، كبير مستشاري الرئيس الأمريكي للشؤون العربية والشرق أوسطية والإفريقية.

اللقاء، الذي ناقش سبل تحقيق السلام في السودان، لم يبقَ طويلًا خلف الأبواب المغلقة، إذ سرعان ما تسربت أخباره، لتتصاعد ردود الأفعال بين من يرحبون بخيار التفاوض ومن يرونه «انبطاحًا».

ومع تضارب الروايات بين «ذهب» و«لم يذهب»، حاولت وكالة السودان الرسمية صرف الأنظار بنشر صور للبرهان مع عدد من السفراء، لكن اللقاء السويسري لم يعد قابلاً للإنكار.

رسائل واشنطن

أكد المستشار الأمريكي مسعد بولس على أنه لا حل عسكري للأزمة السودانية قبل أن تخرج تسريبات عن لقاء آخر جمع بين المبعوث وقائد قوات الدعم السريع وتحالف تأسيس محمد حمدان دقلو «حميدتي»، ما يعزز من فرضية الضغط الدولي بقيادة أمريكا بغية تسوية الصراع في السودان، بما يستجيب لمصالح الجماعات المتعددة والمتحركة في مسرح النزاع والحرب السودانية، التي تمددت أيامها.

لكن من أنكروا حدوث اللقاء سرعان ما تحولوا للنقيض بالكشف عن خطوطه الرئيسية المفسرة وفقاً لهم في سياق ما يخدم أهداف معسكرهم في الحرب، وأن ما جري يمثل اعترافاً أمريكياً بحكومة السودان التي يديرها البرهان.. اللقاء نفسه مجرد تعبير عما ظلوا يرددونه على الدوام «حميدتي انتهى».

ردود متباينة

تباينت ردود الأفعال حول اللقاء والخطوة الجديدة في طريق التفاوض وفي البال خطوات سابقة تم إفشالها في جدة والمنامة وفي جنيف وصولاً لاجتماعات الرباعية الأخيرة في واشنطن، وأصابع الاتهام في كل ما حدث كانت تتجه إلى مجموعات الإسلاميين التي وضعت كل استثماراتها السياسية في الاستمرار في المشهد السوداني على فوهة البندقية.

رحب تحالف صمود بالخطوة وجدد رئيس وزراء حكومة الثورة المنقلب عليه عبد الله حمدوك دعوته للعسكر بأن أوان تحقيق السلام قد حان، وهو الذي سبق وأن قال: لا يوجد منتصر على أشلاء وجثث شعبه.

مسار جديد

بالنسبة للمراقبين، فإن مسارًا جديدًا قررت

الولايات المتحدة الأمريكية اتخاذه من أجل إنهاء الحرب والأزمة في السودان بالتشاور مع شركائها الإقليميين، وبالطبع مع الرباعية.

مسار ينطلق وبشكل رئيسي من المفاتيح الأمنية، واختارت لقاء قائد الجيش عبد الفتاح البرهان لمعرفة شواغله وبالطبع إبلاغه بالمطلوبات الأمريكية.

بشكل عام ظل ما دار في سويسرا طي الكتمان وفي البال أسباب فشل الجولات السابقة التي ارتبطت بشكل رئيسي بالتداول الإعلامي والتحشيد الرافض لأي تفاوض تحت دعاوى «بل بس».

مثل كل الأحداث المرتبطة بحرب السودان منذ طلقتها الأولى عاد مرة أخرى للسطح سلاح «التحشيد» والثنائية «بل بس في مقابل لازم تقيف»، وعلى غير العادة بدا صوت رفض التفاوض هذه المرة خافتًا مقارنة بما جرى في أوقات سابقة حيث كان «البلابسة» يرفضون حتى الهدن ذات الطابع الإنساني.

ماذا يريد السودانيون

تريد الولايات المتحدة ورئيسها ترامب إنهاء الحرب السودانية كرصيد جديد للرجل الذي يحاول أن يجعل من نفسه بطلًا للسلام العالمي في هذه الحقبة، ومع هذا الأمر فإن ترامب يحاول الحفاظ على تحالفاته في المنطقة مع دول الخليج المتورطة في حرب السودان بشكل أو آخر، فيما يرغب البرهان من خلال التفاوض في الحفاظ على مقعده السلطوي والحصول على شرعية واعتراف من العالم . لكن كل ما يجري الآن يجب ألا يتجاوز السؤال الأكثر مركزية وهو المتعلق بما الذي يريده السودانيون من سويسرا؟

السلام سمح

كان مجرد الحديث عن لقاء سري وتفاوض بمثابة إعادة الأمل للسودانيين الذين أعادوا كتابة عبارتهم الأشهر في وسائل التواصل الاجتماعي «السلام سمح»، وهي العبارة التي تستبطن في داخلها الحقيقة الواضحة للعيان أن أهل السودان وصلوا حد المسغبة بفعل الحرب، وأنه لم يعد في كنانة صبرهم صبر جديد.

مشاهد ميدانية

في الفاشر عاصمة شمال دارفور، إذ لا صوت يمكن سماعه غير صوت القصف ودوي المدافع والموت، وحيث يعجز إمام المسجد عن إقامة خطبة الجمعة بفعل الجوع، وأعداد الجثث الملقاة في المدينة أكثر من جوالات الذرة والدُخن، وخطابات الإدانة الدولية قد تصل الناس لكنها لن تكون طعامًا ولا دواء، الحصار يطبق بموته على بوابات المدينة وجنود الدعم السريع مدججين بأكثر الأسلحة فتكاً.

لا شيء ينتظره الذين ينتظرون موتهم أكثر من سلام يعيدهم إلى الحياة ويبعد عنهم شبح حرب لا تبغي ولا تذر.

أما في نيالا فيرتب تحالف تأسيس لإعلان حكومته الموازية لا شيء يلوح في أفق المدينة غير الانتهاكات والغلاء الفاحش والانفلات الأمني والأمراض التي تفتك بالناس.

وفي كردفان الكبرى يترقب الناس موتهم وهم يتابعون حالة التحشيد بين أطراف النزاع، والمسيرات المحملة بالموت، ولا تغيب انتهاكات الدعم السريع التي هي جزء من سلوك أفرادها في بارا، والأبيض المحاصرة، وفي النهود التي لا يعرف الناس ماذا يحدث خلف أبوابها، في الخوي وفي كادوقلي والدلنج حيث المجاعة وفي المجلد حيث يتقاسم أهل البيت الواحد الموت الأخ المنتسب للجيش في مواجهة شقيقه المستنفر بالدعم السريع.

لاجئون عبر الحدود

العالقون في دول الجوار من دفعت بهم الحرب شرقاً غرباً جنوباً وشمالاً أصبحوا بين ليلة وضحاها لاجئين لا يملكون قوت يومهم لا يملكون القدرة على البقاء ولا حتى الفاتورة التي تمكنهم من العودة من يوغندا، حيث يواجه الهاربون من الموت الموت في المعسكرات وفي ليبيا حيث المعاناة أكبر من أن تستوعبها الحروف لا شيء يريده المشردون غير أن تدق أجراس العودة وأجراس العودة لن تدق ما لم يتوقف دوي الموت يخرج صوتهم وكذبة السلام أجمل بمراحل من حقيقة الحرب.

النموذج الليبي

يرغب السودانيون أن تنجح البدايات في سويسرا بالوصول بهم وبلادهم إلى محطات السلام لكن الوصول لمحطات السلام بقوة الدفع الأمريكية لا تخفي مخاوفهم أن تكون الخطوات الجديدة هي السير مرة أخرى في طريق الانقسام والتشظي.

وأن ما يجري هو محاولة لاستنساخ النموذج الليبي في الأراضي السودانية بلد واحد بنظاميين إداريين، فهي خطوة لا تجد ترحيباً وتجعل شعبًا كاملًا تحت رحمة حملة السلاح المدعومين بشرعية دولية.

خراج الروح

طاهر المعتصم

ملخص

الكاتب يتناول محاولات عودة نفوذ النظام السابق في السودان، من بينها أن مسجل تنظيمات العمل (آمنة كبر) أنكرت مصادقة السودان على اتفاقية حرية العمل النقابي (87)، وتدخلت في التشكيلات النقابية، في مشهد يعكس عودة ملامح النظام السابق، رغم أن رئيس الوزراء نفسه قادم من جنيف، مقر منظمة العمل الدولية.

ويذكر أنه خرجت في لندن تظاهرة مؤيدة للدعم السريع بقيادة فارس النور، بينما لم يتحرك مناصرو بورتسودان لمواجهتها أو شجبها، حتى بعد ندوة حمدوك التي رفع فيها شعار «لا للحرب»، وسط مواقف سياسية مرتبكة تجاه التفاوض مع الدعم السريع.

يشير إلى بروز مشاهد أخرى مثيرة؛ منها ظهور يونس محمود المتهم المطلوب للعدالة على قناة الجزيرة، وقضية احتجاز ثم إطلاق سراح (توباك) من قبل السفارة السودانية في ليبيا، في تجاوز لدور البعثات الدبلوماسية.

ويلفت إلى استهداف غرف الطوارئ والمبادرات الشبابية الخيرية لصالح مجموعات الإسناد المرتبطة بالنظام السابق. الكاتب يرى أن هذه الفوضى ليست سوى «خراج الروح» للنظام القديم، وبأن السودان رغم المخاض مقبل على فجر جديد من السلام.

مسجل تنظيمات العمل (آمنة كبر)، في سعيها للمشي بـ«الإستيكة» على المكتسبات النقابية، أنكرت في تعميمها الأخير مصادقة السودان على اتفاقية حرية العمل النقابي، اتفاقية 87، وتدخلت في أمر التشكيلات النقابية، رغم أن مصادقة السودان على الاتفاقية تجعل أمر التدخلات الحكومية أمرًا غير مقبول، لكن ملامح نظام سابق تحاول أن تتشكل في السودان.

والغريب أن رئيس الوزراء قادم من جنيف في سويسرا التي تحتضن مقر منظمة العمل الدولية، بل عمل رئيسًا لمنظمة الملكية الفكرية، أي الدولة المستضيفة للمنظمة التي صادق السودان وانضم لاتفاقية حرية العمل النقابي بها، لو كان الفاعل الفريق إبراهيم جابر لوجدنا له العذر، فقد تسرب أنه من خلف السيدة كبر فيما تقوم به بعكس قادته ورفاقه.

غير بعيد عن جنيف السويسرية، في عاصمة الضباب لندن انطلقت يوم السبت الماضي تظاهرة مؤيدة للدعم السريع خاطبها فارس النور، ولا يزال أثر فأسه في رأس مواطني الخرطوم، وغيرها من مدن السودان، هجر أهلها قسرًا، ونهبت ممتلكاتهم، وارتكبت فيهم جرائم حرب.

الغريب أن مناصري بورتسودان، الذين حشدوا المتظاهرين من فرنسا إضافة لبعض المقيمين في بريطانيا، عندما جاءها الدكتور عبدالله حمدوك مخاطبًا أهلها قائلًا «لا للحرب»، لم يفتح الله على مناصري بورتسودان بحملة مضادة لمتظاهري الدعم السريع ولا شجب ولا تنديد، وفي ندوة حمدوك، استخدمت سياسية من حزب كبير يدها، رفضًا لـ«لا للحرب»، بينما آثرت الجلوس في شقتها، ومظاهرات الدعم السريع تسير قريبًا منها، ربما استجابت لحديث سناء حمد في قبول التفاوض مع الدعم السريع إن جنح للسلم، ورفض التفاوض مع القوى السياسية.

وإن كان جناح كرتي/هارون، لم ينزل حديث سناء حمد، منزل التنفيذ عندما دعوا للتفاوض مع مجموعة (محمود/نافع) في العاصمة القطرية الدوحة، كأنهم دقوا عطر منشم.

على نفس الصعيد ظهر متهم مطلوب للعدالة في بث مباشر على قناة الجزيرة الفضائية، يونس محمود صاحب الحديث الإذاعي في سنوات الانقلاب الأولى، لم يعلم المشاهد هل أعفى النائب العام المتهم من التهمة، ولماذا احتجزت السفارة السودانية في ليبيا المتهم (توباك)، وسفيرها مسوق مصطلح (البعاتي) في الفضائيات، وكيف أطلقت سراحه، وهل البعثات الدبلوماسية أضحت لديها سلطة الاحتجاز.

والملمح الأخير استهداف غرف الطوارئ، أصحاب التكايا والمطابخ المركزية وشبكات العمل الإنساني، في عموم السودان، وتسلط الحكومات لإبدالهم بمجموعة الإسناد التابعة للنظام السابق، كأن السودان لا يحتاج لجهود شبابه أجمعين للبناء والإعمار.

في تقديري إن ما يحدث هو سكرات ومنازعة القديم، والسودان مقبل على الخروج من عنق الزجاجة، على دقات الساعة السويسرية، وأهلنا لديهم مقولة (خراج الروح صعب)، لكن خلف كل ليل بهيم يطل فجر، ومن ظلام الحروب، سيندلع نور سلام.

الصحف السودانية: عودة حقيقية أم ولادة جديدة مشوهة

حيدر المكاشفي

ملخص

يتناول الكاتب واقع الصحافة السودانية في ظل الحرب ومحاولات إعادتها، حيث يوضح توقف معظم الصحف الورقية بعد اندلاع الحرب في أبريل 2023، وتشريد الصحفيين وضياع المهنة وسط الخراب والرقابة والقمع.

يشير إلى إعلان الحكومة عن خطط لإعادة الصحف عبر مطابع الجيش، وهو ما أثار انقسامًا بين من اعتبرها فرصة لإحياء المهنة ومن حذّر من خطر تحويلها إلى أبواق للدعاية الرسمية.

ينوه الكاتب إلى إشكالية غياب الحقيقة، إذ تصادر أطراف الحرب الأخبار وتمنع التغطية المهنية، بينما تنتشر الأكاذيب والشائعات على وسائل التواصل.

ويطرح إشكالية غياب الحقيقة وسط سيطرة أطراف الحرب على المعلومات وانتشار الأكاذيب، لينتهي بالتساؤل: هل ستكون عودة الصحف عودة للصحافة الحرة المستقلة، أم مجرد ولادة مشوهة لصحافة تابعة للسلطة؟

منذ اندلاع الحرب بين الجيش وقوات الدعم السريع في 15 أبريل 2023، دخلت الصحافة الورقية في السودان نفقاً مظلماً، حيث توقفت أكثر من 20 صحيفة عن الصدور، وتحوّلت البلاد إلى فضاء يعاني من انقطاع حاد في المعلومات، تاركاً الناس في حالة جهل وتغييب بما يجري داخلها. وكأن الحرب أصدرت بياناً تقول فيه (لا خبر إلا خبر البندقية).. فالخرطوم التي كانت تعج بالمطابع وشركات التوزيع والصحف مختلفة التخصصات، تحوّلت إلى مدينة من الخراب والنهب، بينما وجد المئات من الصحفيين أنفسهم ما بين لاجئين ونازحين، أو يعملون في مهن بعيدة كل البعد عن مهنتهم وأقلامهم وأوراقهم.

في الأنباء أن الحكومة أعلنت عن استعدادها لإعادة الصحف إلى الحياة، بعد أن جمدها الرصاص وأحال مطابعها ودور صحفها إلى ركام. وتقول الانباء إن اجتماعات عُقدت بين السلطات وبعض الناشرين، على رأسهم عثمان ميرغني مالك صحيفة التيار، وتشير تلك الاجتماعات إلى وجود خطة فعلية لعودة الصحف. باعتبار أن الجيش يمتلك مطبعة جاهزة تقريباً تحتاج فقط القليل من الصيانة، وهناك مطبعة أخرى في بحري، إضافة لشركة توزيع مستعدة للعمل. يبدو الأمر بالنسبة لهؤلاء وكأنه بارقة أمل وسط العتمة، لكن وراء هذا الضوء أسئلة كبيرة وعلامات استفهام حادة.. فوفقاً لنقابة الصحفيين السودانيين، فإن 90% من الصحفيين فقدوا وظائفهم، ولم يتبقَ سوى أقلية تعمل برواتب منتظمة، أغلبها مع وكالات عالمية. أما البقية، فقد أصبحوا باعة جائلين أو عاملين في مهن مؤقتة وهامشية لتأمين قوت أسرهم. وحتى الصحف التي صمدت إلكترونياً فهي تعمل بإمكانيات شبه معدومة. ورغم أن بعض الناشرين يرون في المبادرة الحكومية فرصة لإنعاش المهنة، إلا أن آخرين يحذرون من ثمن هذه المساعدة. ويصفون هذه العودة بأنها شبه مستحيلة في ظل الظروف الراهنة، ويحذرون من أن تمويل الحكومة للصحف قد يفتح الباب أمام تحكمها في المحتوى، وتحويل الصحف إلى أبواق دعائية للحرب، بدلاً من أن تكون منابر للتنوير.. القضية إذن ليست مجرد إعادة تشغيل المطابع وتوفير الورق، بل إعادة الروح لمهنة فقدت بنيتها التحتية وحرية قرارها. فحتى إذا عادت الصحف للصدور، فإن استقلاليتها ستكون على المحك، ما لم تتوافر ضمانات حقيقية تحميها من الابتلاع السلطوي والسياسي.. يبقى السؤال مفتوحاً، هل ستكون عودة الصحف السودانية خطوة نحو استعادة صوت الحقيقة، أم مجرد ولادة جديدة مشوهة في حضن السلطة، فحرب اليوم التي تدور في بلادنا وتستخدم فيها أفتك الاسلحة خفيفها وثقيلها، وبطائراتها المقاتلة ومسيراتها وداناتها وقذائفها الصاروخية وبراميلها المتفجرة، لا تقتل البشر الآمنين الوادعين وتجز أعناقهم فحسب، بل أنها أيضًا تجز أعناق الحقائق فتصبح الحقيقة من بين أول ضحايا الحرب، حيث تنبري الجماعات الخائضة للحرب والداعمة لها والنافخة في كيرها كما نشهد حالياً، وتنخرط في نشاط محموم لاغتيال الحقيقة بعدة وجوه واشكال، لتعبر فوق جثة الحقيقة بل وتدوس عليها لبلوغ مبتغاها وهدفها الذي من أجله تخلصت من الحقيقة والمعلومة الصحيحة، ليخلو لها الجو فتفرخ وتبيض وتملأ الأجواء والأسافير بالأكاذيب والأخبار الملونة والمعلومات المضللة والشائعات، ولهم في ذلك أفانين وطرائق قددًا، ومتخصصون متفرغون لصناعة وبث الرسائل المسمومة، وبغياب الأخبار الدقيقة والصحيحة والمعلومات الحقيقية تتوفر لهم البيئة المثالية لأداء أدوارهم القذرة، وفي حالة حربنا السودانية التي تخضع فيها أجزاء من البلاد لسيطرة الجيش وأجزاء أخرى خاضعة للدعم السريع، تكون الحقيقة في الحالين هي الضائعة، فلا الجيش يسمح بنشر وبث إلا ما يروقه ويطربه ويخدم أغراضه وأجندته، وهو بالضرورة لن يسمح للرافضين للحرب والمطالبين بإيقافها بممارسة أي نشاط صحفي أو سياسي، ولا مليشيا الدعم السريع تسمح بنشر وبث ما يمسها ويضر بها، ولهذا غابت تمامًا التغطية الإعلامية والصحفية المهنية المتوازنة والموضوعية عن مجريات ويوميات الحرب كما هي على الأرض، أما من هم خارج البلاد ولا سيطرة مباشرة عليهم من طرفي القتال، فتسيطر عليهم أجندتهم الخاصة الموزعة بين الطرفين، فمن داعم منهم للجيش أو داعم للدعم السريع ولا داعم بينهم أبدًا للحقيقة إلا من رحم ربي وهم قليلون جدًا، وهكذا تغتال الحقيقة مرتين مرة بالداخل ومرة أخرى بالخارج، ومن عجب أن أفرزت هذه الحرب العبثية طبقة أخرى عابثة تسورت مهنة الإعلام وقفزت عليها بليل بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير، وملأت الاسافير والوسائط بغثاء كثيف يثير الغثيان ودونك من يسمون بـ(اللايفاتية والتيكتوكرز واليوتيوبرز).

في النهاية، السؤال ليس هو هل ستعود الصحف؟ بل أي صحف ستعود؟ هل هي صحف الناس الصحافة الحرة المستقلة، أم صحف الحكومة ومجموعة محددة من مناصريها وداعمي حربها الذين سيكتبون عما تراه وتريد أن تسمعه وتقرأه الحكومة، عن ما يطربها ويسعدها وعن انتصاراتها وإنجازاتها لا غير.. وأي صحف تلك التي يراد عودتها في ظل إصدار الفتاوى وإهدار دماء كل من يقول لا للحرب ولا للردة السياسية، وفي ظل صياغة عرائض الاتهام والتخوين الجزافية، وسحب المستندات الرسمية، وإغلاق الحسابات المالية، بل وإصدار فتاوى الإعدام، وسن قوانين الوجوه الغريبة، وتكبيل النشاط الصحفي والسياسي الحر واستهداف بعض الأحزاب وقياداتها، واستهداف القوى المدنية الديمقراطية المطالبة بوقف الحرب واستعادة مسيرة التحول المدني الديمقراطي.. نعم عودة الصحف أمر جميل ومطلوب بلا شك، لكن إذا كانت العودة على طريقة (الذئب الذي يطبع قصة الخراف)، ولو حصلت ح تبقى الصحف لابسة كاكي، وشغالة تعبئة عامة بدل ما تنوّر الناس وتطلعهم على الحقائق بلا تزييف أو تلوين.. يكون الأفضل في هذه الحالة أن تبقى الصفحات بيضاء.. فالصمت لا يكذب على الأقل.

روعـــة.. طـلاق دامٍ

ملخص

قُتلت الطبيبة روعة علاء الدين في مروي على يد طليقها بطعنات متكررة أمام بوابة المستشفى، في جريمة علنية هزّت الشارع السوداني وكشفت عنفاً منزلياً يوازي فظائع الحرب الكبرى.

القاتل سبق أن اعتدى عليها وأفلت من العقاب بسبب صلاته بمليشيا «البراءون»، ما أثار تساؤلات حول انهيار القانون وسط تغوّل السلاح والجماعات المسلحة على العدالة.

المأساة ليست حادثة فردية، بل امتدادٌ لعنف مجتمعي يستهدف النساء، حيث يُبرَّر القتل أحياناً بخطاب ديني أو اجتماعي يلقي اللوم على الضحية بدلاً من الجاني.

دماء روعة صارت رمزاً لانهيار الحماية والقانون، وإعلاناً عن حرب خفية ضد النساء في البيوت والمستشفيات والشوارع، حربٍ لا تقل قسوة عن الحرب التي تمزق السودان.

أفق جديد

لم تكن أصوات الرصاص ولا أزيز الطائرات هي ما دوّى في مروي ذلك النهار. كان الصراخ البشري أكثر فزعاً، وكانت الدماء على الأسفلت أبلغ من كل قذيفة. في لحظة خاطفة، غُرست ستة عشر طعنة في جسد الطبيبة روعة علاء الدين، نائبة اختصاصية التخدير، عند بوابة المدينة الطبية.

سقطت روعة بين أيدي زملائها الذين هرعوا لإنقاذها، لكنها فارقت الحياة قبل أن تغلق جفنيها للمرة الأخيرة. كانت الطبيبة التي تُحيي المرضى تحت أجهزة التخدير عاجزة عن إنقاذ نفسها من يد رجل كان يوماً أقرب الناس إليها: طليقها.

الجريمة لم تقع في الأزقة المعتمة، ولا على أطراف مدينة منهكة بالحرب، بل في وضح النهار، أمام عيون المارة، في مكان يُفترض أن يكون ملاذاً للشفاء. وهنا تكمن فداحة المشهد: حربٌ صغيرة استنسخت من الحرب الكبرى، مسرحها جسد امرأة وحلمها الذي قُطع بسكين.

حماية السلاح

بيان مستشفى الضمان بمروي أكد أن القاتل سبق أن اعتدى على الراحلة داخل حرم المستشفى نفسه، وأن بلاغاً قانونياً فتح ضده. لكنه خرج من السجن سريعاً، ليكرر جريمته بدم أبرد، ثم يطعن خال الضحية خارج المستشفى. هذه العودة المريبة إلى الشارع فتحت الباب واسعاً أمام الشبهات: كيف يفلت رجل اعتدى مرتين من الحبس؟

الجواب، كما يقول ناشطون، يكمن في صلاته بمجموعة «البراءون» المقاتلة ضمن صفوف الجيش في معركة الكرامة. صلة جعلت منه، في نظر كثيرين، محمياً بسلاح الجماعة، قادراً على الدوس فوق القانون، ومحصناً ضد أي ردع.

جُرحٌ مفتوح

لم يكن مقتل روعة حادثة معزولة. الذاكرة القريبة لا تزال تحتفظ باسم طبيبة سودانية أخرى، قُتلت على يد طليقها في السعودية. كأن العنف يلاحق الطبيبات تحديداً، حيث يتحول نجاحهن المهني إلى مرآة تثير في بعض الرجال إحساساً بالدونية، في مجتمع يضع قيمة الذكورة فوق أي اعتبار. هنا، لا يعود القتل جريمة فردية فقط، بل امتداداً لأزمة مجتمع كاملة.

تبرير للقاتل

بينما ارتفعت الأصوات المطالبة بالقصاص، خرج آخرون لتبرير الجريمة. دعاةٌ معروفون، مثل محمد هاشم الحكيم، لم يترددوا في تحميل الضحية جزءاً من المسؤولية، مبررين دمها بكلمات ملغومة. كان المشهد أقسى من الطعنات نفسها: مجتمع ينقسم بين من يرى في دم المرأة ثأراً يجب أن يُقتص له، ومن يراه ثمناً «مستحقاً».

نهاية حلم

روعة، خريجة جامعة التقانة، نزحت من أم درمان إلى الصالحة بعد اندلاع الحرب، ثم لجأت إلى مصر مثل آلاف السودانيين. لكنها لم تحتمل الغربة، فعادت بإصرار لتكمل تدريبها في مروي، متمسكة بحلم أن تصبح اختصاصية تخدير. لم تكن تدري أن عودتها ستكون موعداً أخيراً مع قاتل يتربص بها.

في 2024، حكمت المحكمة لها بالطلاق وحضانة ابنتها. القاتل استأنف الحكم، لكن ما لم يربحه بالقانون استرده بالسلاح الأبيض. وما لم يستطع القضاء حسمه، حسمه هو بست عشرة طعنة.

إلى الثلاجات

في الماضي، كانت خلافات الأزواج تُحلّ بـ«الجودية» وسط الأهل. اليوم، صارت قاعات المحاكم مكتظة بملفات الطلاق والنزاعات، وتحولت بعض القضايا إلى جرائم قتل تُسجَّل تحت بنود القانون الجنائي لعام 1991: قصاص، دية، أو عفو. لكن في زمن الحرب، حتى هذه المعادلة البسيطة صارت هشة، لأن القانون نفسه أصبح رهينة للسلاح، لا لميزان العدالة.

دم يصرخ

دماء روعة علاء الدين لم تجف بعد على إسفلت مروي، لكنها تصرخ في وجه الجميع: هذا ليس قتلاً عابراً، بل إعلان عن زمن صار فيه جسد المرأة ساحة مفتوحة لتصفية الحسابات، وحائطاً واهناً تنهار عليه كل عُقد الحرب ومآسيها.

السكين التي اخترقت جسدها ستة عشر مرة لم تكن مجرد أداة جريمة؛ كانت نسخة صغيرة من المدفع والدبابة والطائرة، سلاحاً استُنسخ من الحرب الكبرى ليُستعمل في حربٍ أكثر قسوة: حرب البيت، حرب الطلاق، حرب الغيرة، حرب المجتمع ضد نسائه.

والمأساة أن القاتل لم يكن يختبئ في الظل، بل فعلها في وضح النهار، مطمئناً إلى أن القانون يمكن أن يُطوى إذا كان وراءه سلاح أو جماعة. وهنا يكمن السؤال الذي يطعن المجتمع كله: إذا لم يحمِ القانون طبيبة تحمل في يدها أدوات إنقاذ الأرواح، فكيف يحمي امرأة عادية بلا سند ولا ظهر؟

روعة لم تمت وحدها. مات معها وهم أن المرأة في السودان يمكن أن تحيا آمنة وسط مجتمع يبرر العنف بالصمت أو بالدين أو بالعرف. موتها هو مرآة مرفوعة في وجه الجميع، تعكس قبحاً يتهرب الناس من النظر إليه.

وإذا كان للحرب الكبرى جبهات معلومة، فإن حربها الصغيرة، الأشد غدراً، ما زالت تُشن في البيوت والشوارع والمستشفيات، على أجساد النساء، كل يوم، وكل ساعة.

وحين تُستباح النساء بهذه السهولة، فإن المجتمع كله يكون قد كتب على جبينه حكماً لا يقل بشاعة عن الطعنة الأخيرة التي أنهت حياة روعة علاء الدين: الموت بلا خوف، في وطنٍ بلا عدالة.

صراع الفرقاء السودانيين: النزعة الرغبوية والفجور في الخصومة

د. عصام عباس

ملخص

يرى الكاتب أن قوى «صمود» تُتهم زورًا بأنها الذراع السياسي للدعم السريع، بينما موقفها المعلن يؤكد العكس تمامًا؛ فهي ترفض أي تقارب مع هذه المليشيا أو مشروع يهدد وحدة الجيش، وتطرح نفسها كصوت وطني يدعو لوقف الحرب وبناء جيش قومي بعيد عن الولاءات.

يوضح أن العلاقة بين الإسلاميين والدعم السريع بدأت بتحالف وثيق، إذ أنشأ الإسلاميون المليشيا لحماية نظامهم وقمع خصومهم، لكنها تحولت بعد سقوط البشير إلى صراع نفوذ، خاصة مع تضخم قوة الدعم السريع، ومع ذلك فإن عودة التحالف بين الطرفين ليست مستبعدة متى اقتضت المصالح.

يذكر أن الدعم السريع في بحثه عن الشرعية، أسس تحالفات سياسية هشة، أبرزها «تأسيس»، الذي ضم بعض الحركات المسلحة وشخصيات مدنية، حتى وصل إلى إعلان حكومة موازية، في خطوة شكلت تهديدًا خطيرًا لوحدة البلاد واستقرارها.

ويشير الكاتب إلى أن تحالف «صمود»، يسعى إلى إيقاف الحرب وتحقيق سلام شامل، وإلى بناء دولة مدنية ديمقراطية على أسس العدالة والتنوع، رافضًا عودة الإسلاميين أو شرعنة الدعم السريع، ومؤكدًا أن إنقاذ السودان لن يتم إلا بمحاصرة المشروعين معًا والالتفاف حول مشروع وطني جامع.

مدخل

دأب منتقدو تحالف القوى المدنية «صمود» على اتهامه زوراً وبهتاناً، بأنه الذراع السياسي لقوات الدعم السريع، وهو اتهام يفتقر تماماً إلى أي دليل، ولا يعدو كونه شكلاً من أشكال الفجور في الخصومة الذي لازم الممارسة السياسية في السودان كلما احتدم الصراع بين الفرقاء.

غير أن من الواجب ابتداءً أن نقرّ بحقيقة ثابتة لا لبس فيها: الانتماء إلى الدعم السريع أو الاصطفاف خلفه جريمة وطنية وأخلاقية قبل أن تكون جريمة جنائية. فهذه المليشيا تلطخت أيديها بدماء الأبرياء، ونهبت ممتلكات المواطنين، واعتدت على مؤسسات الدولة من بنوك ومشافٍ وجامعات ومراكز بحثية وغيرها، وسجلها يفيض بالانتهاكات بحق النازحين والمدنيين. إنها جريمة كاملة الأركان ضد الوطن والإنسانية.

وفي المقابل، فإن الانتماء إلى الحركة الإسلامية أو نصرتها بأي صورة من الصور لا يقل خطراً، إذ هو خيانة للدين والمجتمع والقيم، قبل أن يكون فعلاً سياسياً. فالحركتان الدعم السريع والحركة الإسلامية، وجهان لعملة واحدة، يجمعهما فساد الغاية والممارسة.

لقد أنشأت الحركة الإسلامية مليشيا الدعم السريع لتكون قوة موازية للجيش السوداني، ولتستخدمها كأداة بطش عند الطوارئ، حتى وصفها المخلوع عمر البشير بـ«المخزون الاستراتيجي»، في إشارة صريحة إلى دورها المتوقع في مواجهة أي تمرد عسكري أو انتفاضة شعبية. هذه النشأة وحدها تكشف عن انعدام ثقة الإسلاميين بالجيش الوطني، وعن نزعتهم لصناعة قوة ذات طابع قبلي وجهوي، أغدقوا عليها المال والامتيازات، وغرسوا في عقيدتها الولاء الأعمى لقائدها بدلاً من الولاء للوطن.

هذه المقدمة ضرورية لفهم طبيعة النهج السائد في إدارة الخلافات السياسية بالسودان، حيث تحلّ التهم الملفقة محل الحجة، والتشويه محل النقاش، في ممارسة بلا أخلاق ولا سند.

الحركة الإسلامية والدعم السريع: خلاف مرحلي وتلاقٍ مستقبلي

دبّ الخلاف بين الحركة الإسلامية السودانية وقوات الدعم السريع نتيجة تباين المصالح وتآكل الثقة المتبادلة، بعد أن كانت العلاقة بينهما في بداياتها قائمة على التحالف والاحتضان. فالحركة الإسلامية، منذ عهد نظام الإنقاذ، هي التي رعت نشأة مليشيات الجنجويد التي تطورت لاحقًا إلى قوات الدعم السريع، واستخدمتها كأداة لقمع التمرد في دارفور، وحماية النظام من أي تهديد داخلي. غير أن الصعود الكبير لمليشيا الدعم السريع وتضخم قوتها العسكرية والمالية بعد سقوط نظام البشير عام 2019 خلق معادلة جديدة. فقد تحولت من ذراع باطش تديره الحركة الاسلامية إلى قوة سياسية وعسكرية مستقلة تنازعها النفوذ داخل الدولة. ومع اندلاع الحرب في أبريل 2023، رأى الإسلاميون أن فقه المصلحة الذاتية لتنظيمهم يستوجب الاصطفاف إلى جانب الجيش السوداني، ليس لأجل الدفاع عن الدولة كما يزعمون كذبًا، بل خوفًا من مشروع الدعم السريع الذي بدا وكأنه يسعى إلى إعادة تشكيل السلطة على أسس مغايرة، وربما إقصاء الإسلاميين من المشهد كليًا. ومن هنا تحولت العلاقة من حميمية إلى عداء مستحكم، غذّته الحملات الإعلامية المتبادلة والاتهامات بالعمالة والفساد والخيانة. ورغم هذا التصعيد الشكلي، فإن

عودة التحالف بين الطرفين ليس أمرًا مستحيلاً إذا توفرت أسباب براغماتية كظهور تهديد مشترك، أو إذا اقتضت ضرورات الميدان تلاقي المصالح من جديد، فالتاريخ السياسي السوداني يشهد بأن الصراعات والتحالفات بين القوى الفاعلة كثيرًا ما كانت مؤقتة، وتخضع لمنطق موازين القوى لا لمنطق القطيعة النهائية.

الدعم السريع والبحث عن الشرعية

عندما بحث الدعم السريع عن غطاء سياسي، لم يجد ضالته في قوى الثورة، رغم محاولاته مغازلتها بادعاء أنه يقاتل من أجل المدنية. لذلك أسس تحالفاً هزيلاً باسم «قمم» سرعان ما تلاشى، ثم لجأ إلى إنشاء تحالف آخر هو «تأسيس»، الذي ضم بعض الحركات المسلحة (الحركة الشعبية شمال، وبعض حركات دارفور الموقعة على اتفاق جوبا) إلى جانب شخصيات مدنية. هذا التحالف كان هو الذراع السياسي المعلن للدعم السريع، حتى أنه بلغ به الأمر إلى إعلان حكومة موازية في مواجهة حكومة بورتسودان، في خطوة خطيرة هددت وحدة السودان وتماسكه.

تحالف صمود: الاتزان الوطني ونضج الرؤية

أما تحالف القوى المدنية «صمود»، الذي يواجه – دون سواه - العداء المستحكم من الإسلاميين، فموقفه المعلن واضح: لا تقارب مع الدعم السريع، بل رفض صريح لأي مشروع يهدف لتفكيك الجيش السوداني أو تقويض وحدته. صمود يساند إعادة بناء جيش قومي بعيد عن الولاءات الأيديولوجية، ويرفض تعدد الجيوش، ويقف على مسافة واحدة من طرفي الحرب، داعياً إلى وقفها فوراً. إنه موقف يعكس نضجاً سياسياً واتزاناً وطنياً، ورغبة صادقة في إنهاء الكارثة التي ألمّت بالسودان.

تتمثل غايات صمود في إيقاف الحروب الدائرة في السودانK وإنهاء دوامة العنف عبر إحلال سلام شامل وعادل ومستدام، ومعالجة ما خلّفته من آثار إنسانية كارثية عبر حماية المدنيين وتمكينهم من العودة إلى مدنهم وقراهم وجبر أضرارهم. كما تسعى إلى بناء دولة سودانية جديدة على أسس عادلة ومنصفة لجميع المواطنين، واستكمال مسيرة ثورة ديسمبر والثورات السودانية السابقة لتحقيق أهدافها في ترسيخ الحكم المدني الديمقراطي. وفي هذا السياق، تقف صمود بصرامة ضد المؤتمر الوطني وحركته الإسلامية وواجهاتهما، عبر تفكيك بنية نظامهم القديم وهزيمة مخطط حربهم الراهنة ومنع عودتهم مجددًا للهيمنة على البلاد. وإلى جانب ذلك، تعمل على التصدي لخطابات الكراهية والعنصرية والتقسيم، ونشر خطاب وطني متسامح يعكس التعدد والتنوع الحقيقي للسودان، مع التوجه الجاد لمعالجة الجذور التاريخية للأزمة الوطنية بما يفتح الطريق أمام مستقبل أكثر استقرارًا وعدالة.

الفجور في خصومة تحالف صمود لم يقف عند حدود الإسلاميين، بل انساق خلفه بعض الطامحين سياسياً، فقد ردد الفريق عبد الرحمن الصادق المهدي، الذي سعى في سياق خلافاته داخل حزب الأمة إلى ترديد نفس الأكاذيب التي يروجها الإسلاميون عن تحالف «صمود». وهو المسار ذاته الذي سلكته بعض الكيانات المصنوعة على أعين إعلام بورتسودان، بلا سند جماهيري ولا قاعدة شعبية.

أكذوبة فقدان السند الشعبي

ينساق بعض الرغبويين في تصديق ادعاء الحركة الإسلامية بأن القوى المدنية فقدت شعبيتها، وكأن الساحة قد غدت حكراً على الإسلاميين وميليشياتهم في نهج تحليلي ساذج، يتجاهل حقائق التاريخ القريب: ألم تحتشد الحشود المصنوعة لمقابلة البشير في عطبرة حتى توهم أنه السيد المطاع ولوح بعصاه ظانًا أنها عصا موسى، وأطلق عبارته الشهيرة «نحن جينا بالقوة ومن أراد الحكم فيقابلنا في الميدان»، ثم لم تمضِ أيام حتى كانت ذات المدينة وذات الحشود هي نواة اقتلاعه؟ وكيف يمكن قياس الشعبية في ظل إعلام موجه وأجهزة أمن تحاصر لجان المقاومة، وقضاء مسيّس يصدر مئات أحكام الإعدام ضد الشباب، بينما الألوف في المعتقلات لا يدري ذووهم عنهم شيئًا ولا يعلمون مصيرهم.

ختامًا

يا سادتي، نحن نعيش اليوم أسوأ فصول المأساة السودانية، مأساة صنعتها الحركة الإسلامية وابنها المدلل الدعم السريع. وليس من المقبول أن ننجرّ وراء صراعات عبثية تقوم على الكذب والتخوين بينما الوطن يتهاوى، يحدق فينا بعين طفل مريض يستصرخ والديه العاجزين. إن إنقاذ السودان لا يتحقق إلا بمحاصرة طموحات الإسلاميين والدعم السريع معاً، والالتفاف حول مشروع وطني جامع، ينتصر فيه الوطن على الأجندات الذاتية، ويحقق للشعب حلمه في بناء دولته المدنية الديمقراطية.

حروب الحركة الاسلامية

وائل محجوب

ملخص

يستعرض الكاتب تطور الحرب كأداة سياسية في السودان، وهي أعلى مراحل الصراع السياسي، لكنها حين تندلع داخل الدول تصبح أشد فتكًا بوحدتها ومجتمعها، وتفتح الأبواب للتدخلات الخارجية والانقسامات العميقة.

يشير إلى أن الحركة الإسلامية استغلت الحرب كوسيلة للبقاء في السلطة، وزجّت بالشباب في حروب لا تنتهي منذ الإنقاذ 1989، ما أدى إلى تقسيم البلاد وإشعال صراعات مدمرة في الجنوب ودارفور وجبال النوبة والنيل الأزرق.

يوضح أن اندلاع الحرب الأخيرة أطلق سراح قادة النظام البائد ومجرمي الحرب، ومنحهم فرصة لإعادة تنظيم صفوفهم وإدارة الصراع من وراء الستار، فيما استُخدم الشباب مجددًا وقودًا لمحرقة السلطة.

يخلص الكاتب إلى أن الرسالة الواضحة، هي أن هذه الحرب امتداد لرفض الإسلاميين الخضوع لإرادة الشعب منذ ثورة ديسمبر، لكن الزمن دوّار، وما لم يسقطوا اليوم بفعل السلم أو الحرب، فسيسقطون غدًا بيد الشعب الذي أذاقوه الويلات.

* الحرب في حقيقة أمرها هي أعلى مراحل الفعل السياسي وأخطرها، ولا يتم اللجوء إليها إلا بعد استعصاء كافة الحلول السلمية لتغيير المعادلات القائمة، وتخاض بين الدول إما لفرض الإرادة، أو لتقويض الدول واحتلالها مثلما حدث في الحربين العالميتين وحروب شتى، أو كمدخل لتغيير المعادلات السياسية وتغيير الجغرافيا السياسية، وكل فعل ينتج عنها لا يخلف سوى الخراب والدمار.

* أما حروب البلدان الداخلية، فهي أشد وأنكى، فهي بخلاف تعزيزها للتفرقة وروح العداء بين مكونات الدولة الواحدة، فهي بطبيعتها تكون مهددة لوحدة الدولة، وتفتح بابًا للتدخلات الخارجية والاصطفاف مع أطرافها كل حسب مصالحه، وامتدادات هذه الحروب أخطر، لأنها بطبيعتها تتحول لمهدد للأمن والسلم الإقليمي والدولي، لذلك توصل العالم لاتفاقيات تنظم القوانين التي تحكم الحرب، وحدد أنماطًا من الجرائم التي لا يمكن التساهل معها.

* الحرب بطبيعتها المتوحشة وما تخلفه من أحن وضغائن وما يرتبط بها من خطابات كراهية وتضليل وتزييف متعمد لشيطنة الآخرين، هي الأداة المثلى لتقسيم الشعوب، ولهدم أسس التعايش السلمي وتفكيك الدول، والعقلاء وحدهم من يسعون لوقفها وقطع الطريق عليها، وهذا ما تقاومه الحركة الإسلامية وحزبها الضرار منذ اندلاع الحرب، فهي أوهام في رؤوس قادتها تتصور أن بإمكانها مواصلة حكم السودانيين بالقمع والتسلط، والإفلات من الجرائم الكبرى التي اقترفوها بحق الشعب عبر مقاعد السلطة.

* الحرب هي الحرفة التي تجيدها الحركة الإسلامية وحزبها الضرار وتفوقت فيها على غيرها في بلادنا، وجنجويدها أضل منها وأنكى في الجرائم والكوارث، وهم قد بعثوا بأفعالهم المنكرة وجرائم حربهم مجتمعين كل ما يقوض أسس العيش المشترك بين أهل السودان، ولم يعطوا مجالًا للحلول السلمية، فهم أمراء للحرب من خلف حجاب، ومن يعش بالسيف يمت به..!

* منذ وصول الإنقاذ المشؤوم للسلطة في يونيو 1989م، تبنت ذلك المنهج الحربي في التعامل مع قضايا الصراع الداخلي، وتصورت أن بمقدورها قيادة الحرب فدفعت بخيرة شباب الإسلاميين للصفوف الأمامية ليقضوا نحبهم في غابات الجنوب، وتفتق عقل قادتها الخرب مثل صاحب فقه «إدخار القوة»، عن جرجرة شباب البلاد تحت مسميات الخدمة الإلزامية والتجنيد الإجباري، والتقاطهم من الشوارع والزج بهم في أتون حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل في تسعينيات القرن الماضي، ومضوا في حروبهم التي لا تنتهي في أنحاء السودان المختلفة، جبال النوبة والنيل الأزرق، ودارفور التي مثلت قمة الكوارث الوطنية، حينما جندوا مجرمي القبائل في مواجهة تمرد كان يمكن حسمه عبر الحوار لو توفرت لهم بعض حكمة ووعي وتنازل عن أفكارهم المشوهة تجاه البلاد وأهلها، وبعد كل هذه الكوارث الوطنية لا يزالون في غيهم سادرون.

* لقد تم تقسيم البلاد تحت وقع الحروب، كما تم تقسيم غالب دول المنطقة، من المحيط للخليج، وهي حروب همجية ما أن تبدأ نيرانها يتحول البشر لخونة وأبالسة، وينزوي في طياتها كل من يحملون قيما خيرة، وقد أخرجت حرب السودان كل جهلاء البلاد بلا رسن، وقد غطوا بفاحش دعواهم للحرب على كل مناصري السلم ووقف نزيف الدم.

* خرج من السجون عمر حسن أحمد البشير وعلي عثمان محمد طه وعبد الرحيم محمد حسين وبكري حسن صالح ونافع علي نافع وأحمد هارون وغيرهم من قادة نظام الإنقاذ، وانسل تحت غطاء الحرب كل مجرمي نظام الإنقاذ وانتبذوا مكانًا قصيًا، ليدفعوا بالشباب للمحرقة، كما أطلق سراح مجرمي الحرب مثل السافنا وغيره من قادة الجنجويد وأمراء الخراب والدمار، ممن كانوا قيد التوقيف في السجون، وخرج حتى المشتبه بهم في فض اعتصام القيادة، مثلما أطلق سراح مساجين البلاد من مجرمي الحالات الجنائية، في حرب الثورة المضادة هذي بكل غلها وحقدها وإجرامها.

* لم يسأل أحد حتى الآن منذ اندلاع الحرب أين هؤلاء المجرمين، ولماذا لم يعودوا للسجون طالما عادت للسجون سلطتها وتم ترميم السجن العمومي والسجون المماثلة، ومن الذي يوفر لهم الحماية، ويمنحهم القدرة على التحرك وإدارة شؤون الدولة والحرب من تحت الطاولة.

* الرسالة التي تقولها هذه الحرب وبوضوح لجميع أهل السودان، أن جهات محدودة ترى أن لا مخرج لها من جرائمها إلا بالتحكم في عنان السلطة، وإخضاع كامل البلاد لبطشها ونفوذها، وهي تعاند أقدار الله الذي قضى بزوال حكمها في ثورة ديسمبر- أبريل 2019م، وما يعاند أقدار الله الإ كل معتد أثيم، وسيصبح عبرة لمن لا يعتبر، «البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت، وأصنع ما شئت فكما تدين تدان».

* ما لم تفهمه الحركة الإسلامية وحزبها الضرار وجنجويدها، الذين صنعتهم وأبدعت في تلقينهم طرق إذلال الشعب أن للزمان دورتين، هذه دورتهم في ظل الحرب، وللشعب بكل قدرته عليهم دورة قادمة سلمًا أو حربًا، ووقتها سيعلمون علم اليقين ما هو الشعب السوداني الذي أذاقوه الويلات، ولن يفلت من أجرموا طال الزمان أم قصر.

التجارة الخارجية السودانية في ظل العقوبات والحرب ومآلات الإجراءات الإماراتية الأخيرة: الذهب نموذجًا

عمر سيد أحمد

ملخص

منذ اندلاع الحرب في أبريل 2023، تدهورت التجارة الخارجية السودانية بشكل حاد، حيث تعطلت مراكز الإنتاج وتراجعت الصادرات غير الذهبية، فيما بقي الذهب المورد الأبرز للنقد الأجنبي، لكنه يهرب في معظمه عبر قنوات غير رسمية، ما عمّق أزمة الاقتصاد.

يشير إلى أن العقوبات الدولية والإقليمية زادت الوضع سوءًا، إذ حدّت من التمويل والتحويلات البنكية، ورفعت تكاليف التأمين والشحن، مما أجبر السودان على الاعتماد على دول وسيطة مثل الإمارات ومصر وتشاد، وهو ما رفع كلفة الاستيراد وأبطأ حركة التجارة.

يوضح الكاتب إلى أنه بين 2023 و2025، انحصر هيكل الصادرات في الذهب، بينما تراجعت مساهمة الصمغ والقطن والثروة الحيوانية. أما الواردات فاقتصرت على السلع الاستراتيجية كالقمح والوقود والدواء، عبر موانئ بديلة رفعت التكاليف بنسبة 8–15% وأطالت زمن وصول البضائع.

يخلص إلى أن الإجراءات الإماراتية الأخيرة بوقف الطيران والتبادل البحري وجهت ضربة قاسية، كون الإمارات تستحوذ على 21% من صادرات السودان أغلبها ذهب، ما يفرض على الخرطوم البحث عن بدائل عبر مصر وقطر والسعودية أو أنظمة دفع إفريقية، رغم بقاء دبي المركز الأوسع لتسعير وتداول الذهب السوداني.

منذ اندلاع الحرب في السودان في أبريل 2023، دخل الاقتصاد السوداني مرحلة حرجة أعادت تشكيل ملامح التجارة الخارجية بصورة جذرية. لم تقتصر آثار الحرب على تعطيل الإنتاج المحلي، بل امتدت لتشمل سلاسل الإمداد، ومسارات النقل، وإمكانيات التمويل والتأمين التجاري. وأصبحت التجارة الخارجية رهينة لمعادلة معقدة من العزلة الدولية، والعقوبات الاقتصادية، وشبكات التجارة غير الرسمية. في هذا السياق، يبرز الذهب كمورد رئيسي للنقد الأجنبي، بل وكدراسة حالة كاشفة لفهم كيفية تكيّف الصادرات السودانية مع قيود الحرب والعقوبات، وكيف تتأثر بالقرارات السياسية في المراكز التجارية الإقليمية، وعلى رأسها الإمارات العربية المتحدة.

أولًا: المشهد العام للتجارة الخارجية السودانية قبل الحرب وبعدها

قبل الحرب، اعتمدت التجارة الخارجية السودانية على مجموعة من الصادرات التقليدية، أبرزها الذهب، الصمغ العربي، القطن، الثروة الحيوانية، وبعض المنتجات الزراعية. كما كان السودان يستورد القمح، والوقود، والآلات، والأدوية، والسلع الغذائية، والسماد، وغيرها من السلع من أسواق متعددة، أغلبها عن طريق الإمارات.

لكن الحرب عطّلت مراكز الإنتاج الكبرى، خاصة في دارفور وكردفان والنيل الأزرق، وأغلقت طرقًا برية ومنافذ حدودية، ورفعت تكاليف النقل البحري نتيجة المخاطر الأمنية في البحر الأحمر. كما تراجع حجم الصادرات الرسمية غير الذهبية بشكل حاد، بينما حافظ الذهب على مكانته، وإن تحول جزء كبير منه إلى قنوات غير رسمية.

قبل الحرب، اعتمدت التجارة الخارجية السودانية على مجموعة من الصادرات التقليدية، أبرزها الذهب، الصمغ العربي، القطن، الثروة الحيوانية، وبعض المنتجات الزراعية. كما كان السودان يستورد القمح، والوقود، والآلات، والأدوية، والسلع الغذائية، والسماد، وغيرها من السلع من أسواق متعددة، أغلبها عن طريق الإمارات.

تعتمد التجارة الخارجية السودانية بشكل كبير على الإمارات كمحور رئيسي لإعادة التصدير، حيث بلغت قيمة الواردات السودانية من الإمارات نحو 861 مليون دولار في عام 2023، مقابل صادرات تقدر بحوالي 1.09 مليار دولار، أي ما يعادل 21% من إجمالي صادرات السودان. هذا الاعتماد الكبير يجعل أي اضطراب في هذه القناة مؤثرًا مباشرة على ميزان المدفوعات، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن أي تحويل لمسارات بديلة قد يرفع تكلفة الشحن بنسبة تتراوح بين 8% و15% ويضيف من 1 إلى 4 أيام على زمن الوصول، وفقًا للسيناريوهات التقديرية للتقرير. وتقدّر الخسائر السنوية المحتملة بين 101

و178 مليون دولار إذا استمر الوضع الراهن.

لكن الحرب عطّلت مراكز الإنتاج الكبرى، خاصة في دارفور وكردفان والنيل الأزرق، وأغلقت طرقًا برية ومنافذ حدودية، ورفعت تكاليف النقل البحري نتيجة المخاطر الأمنية في البحر الأحمر. كما تراجع حجم الصادرات الرسمية غير الذهبية بشكل حاد، بينما حافظ الذهب على مكانته، وإن تحول جزء كبير منه إلى قنوات غير رسمية.

وفي هذا الإطار، تُظهر البيانات التقديرية لزيادة الكلفة خلال 3–6 أشهر أن التحويل من خط دبي إلى مسارات بديلة مثل جدة، الدوحة، إسطنبول، أو الموانئ المصرية، سيؤدي إلى زيادة في تكلفة النقل وزمن إضافي كما يلي:

السلعة	النقل	الوحدة	الأساس (خط دبي)	مسار بديل	زيادة تقديرية %	زمن إضافي (أيام)	تكلفة بعد الزيادة
قمح (Bulk)	بحري	USD/طن	310.0	جدة	8.0	3	334.8
دواء (شحن سريع)	جوي	USD/كجم	15.0	الدوحة	12.0	1	16.8
قطع غيار صناعية	جوي	USD/كجم	8.5	إسطنبول	15.0	2	9.77

أرقام

861	مليون دولار الواردات من الإمارات (2023).
1.09	مليار دولار الصادرات إلى الإمارات (2023).
178–101	مليون دولار الخسائر السنوية المحتملة نتيجة التحويل لمسارات بديلة.
120–100	طنا سنويا الإنتاج الكلى للذهب (رسمي وغير رسمي).
80 - 70 %	نسبة التهريب.
10.52–7.68	مليار دولار قيمة الذهب المهرّب سنويًا.
64	طنًا (7.01 مليار دولار) الإنتاج الرسمي (من أبريل 2023 حتى الآن).

الخسائر المتوقعة من الإجراءات الإماراتية (2025)

103–69	مليون دولار خسائر في الواردات .
55–22	مليون دولار خصومات سعرية على الذهب.
20–10	مليون دولار فاقد إيرادات عامة.
178–101	مليون دولار سنويًا، إجمالي الخسائر.

ثانيًا: أثر العقوبات الدولية والإقليمية

العقوبات المفروضة على السودان، سواء السابقة للحرب أو اللاحقة لها، أثّرت بشكل مباشر على التجارة الخارجية من خلال انكماش التمويل التجاري، وتعطيل أنظمة الدفع الدولية، وارتفاع تكاليف التأمين البحري، وزيادة الاعتماد على دول وسيطة.

العقوبات المفروضة على السودان، سواء السابقة للحرب أو اللاحقة لها، أثّرت بشكل مباشر على التجارة الخارجية من خلال:

انكماش التمويل التجاري: صعوبة الحصول على خطوط ائتمان وتمويل عبر البنوك الدولية.

تعطيل أنظمة الدفع الدولية: فرض قيود على التحويلات البنكية، وزيادة الاعتماد على أنظمة بديلة أو وسيطة.

ارتفاع تكاليف التأمين البحري: إدراج الموانئ السودانية ضمن المناطق عالية المخاطر، ما رفع أقساط التأمين على الشحنات.

زيادة الاعتماد على دول وسيطة: مثل مصر، وتشاد، والإمارات، لتسهيل دخول وخروج السلع.

ثالثًا: تغيّر هيكل الصادرات والواردات

في الفترة 2023–2025، أصبحت الصادرات أكثر تركيزًا على الذهب، بينما تراجعت مساهمة السلع الزراعية والحيوانية. أما الواردات، فقد اقتصرت غالبًا على السلع الاستراتيجية (قمح، وقود، دواء) عبر موانئ بديلة كميناء بورتسودان والمنافذ

المصرية والإريترية، مع ارتفاع حاد في تكاليف الشحن والشراء.

رابعًا: الذهب كمورد استراتيجي للنقد الأجنبي

يمثل الذهب اليوم المورد الأول للنقد الأجنبي في السودان، خاصة بعد تراجع قطاع النفط. ووفق بيانات الشركة السودانية للموارد المعدنية (SMRC) وتقارير تشاتهام هاوس (2025)، إضافة إلى تقديرات مستقلة للخبراء، فإن إجمالي إنتاج السودان من الذهب خلال الفترة من أبريل 2023 وحتى الآن يتراوح بين 100 و120 طنًا سنويًا، تشمل الإنتاج الرسمي وغير الرسمي، في كل من المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة وتلك الخارجة عنها.

غير أن ما بين 70 و80% من هذا الإنتاج يُهرَّب إلى الخارج عبر مسارات غير رسمية، خاصة عبر الحدود مع مصر وتشاد، قبل أن يصل معظمه إلى أسواق مثل الإمارات. وبالاعتماد على السعر العالمي الحالي للذهب (حوالي 3،400 دولار للأونصة أو 109.56 مليون دولار للطن)، فإن قيمة الذهب المهرب من السودان سنويًا تتراوح بين 7.68 مليار دولار (70 طنًا) و10.52 مليار دولار (96 طنًا).

أما الإنتاج الرسمي المصرّح به من قبل الحكومة السودانية منذ أبريل 2023 وحتى الآن، فقد بلغ نحو 64 طنًا، وهو ما يعادل حوالي 7.01 مليار دولار بالقيمة السوقية الحالية، وهو رقم يقل بكثير عن التقديرات الفعلية للإنتاج، ما يعكس فجوة كبيرة ناجمة عن التهريب وضعف الرقابة على المناجم والمنافذ الحدودية.

تشير بيانات الأمم المتحدة وتقارير تشاتهام هاوس إلى أن كميات كبيرة من الذهب السوداني تمر عبر مصر قبل دخولها السوق الإماراتية:

2023: مصر صدّرت إلى الإمارات 16.48 طنًا من الذهب بقيمة تقارب 1.80 مليار دولار.

يناير–أكتوبر 2024: ارتفعت صادرات مصر إلى 41.14 طنًا بقيمة نحو 4.50 مليار دولار، منها 25.86 طنًا إلى الإمارات بقيمة تقارب 2.83 مليار دولار.

خامسًا: الإجراءات الإماراتية الأخيرة وتداعياتها

في 6 و7 أغسطس 2025، فرضت السلطات الإماراتية حظرًا على هبوط الطائرات السودانية في مطاراتها، تبعه قرار بوقف جميع أشكال التبادل البحري مع السودان، متضمنًا تعليق تصاريح الإبحار للسفن الإماراتية المتجهة إلى ميناء بورتسودان، ومنع حركة البضائع المرتبطة بالسودان عبر الموانئ الإماراتية.

ورغم أن خلفية القرار تحمل أبعادًا سياسية، فإن تداعياته الاقتصادية عميقة، خصوصًا أن الإمارات تشكّل الوجهة الأولى لصادرات الذهب السوداني ومركزًا لإعادة تصديره. هذا الإجراء يعكس استعداد الإمارات للتخلي عن مصالحها الاقتصادية في سبيل أهداف سياسية، وهي خطوة لم تُقدم عليها حكومة بورتسودان التي فضّلت الحفاظ على مصالحها التجارية، حتى لو كان ذلك يعني استمرار الاعتماد على منفذ واحد.

اقتصاديًا، يشبه تأثير هذا القرار العقوبات الأمريكية في شدته على المنظومة التجارية القائمة، خصوصًا في مجال الذهب، الذي مثّل خلال السنوات الماضية أحد أهم مصادر تمويل المنظومة الإخوانية وشبكاتها الاقتصادية.

حجم العلاقة التجارية

الواردات من الإمارات (2023): 861 مليون دولار (دواء، قمح، معدات، إلكترونيات).

الصادرات إلى الإمارات (2023): 1.09 مليار دولار، أغلبها ذهب.

الإمارات تستحوذ على 21% من إجمالي صادرات السودان.

القنوات المتأثرة بالإجراءات

الشحن الجوي: زيادة زمن وكلفة الشحنات السريعة.

الشحن البحري: لا حظر رسمي، لكن التوتر يرفع أقساط التأمين ويقلل الرحلات المباشرة.

الذهب: التحويل عبر وسطاء يسبب فاقد إيرادات وخصومات سعرية.

زيادة التكاليف المتوقعة (3–6 أشهر)

التحويل من خط دبي لمسارات بديلة (جدة، الدوحة، إسطنبول، موانئ مصرية) يرفع التكاليف 8–15% ويضيف 1–4 أيام.

مثال:

قمح (Bulk) عبر جدة: 8+% تكلفة، 3+ أيام.

دواء (شحن سريع) عبر الدوحة: 12%+ تكلفة، 1+

القنوات المتأثرة

الشحن الجوي: زيادة زمن وكلفة الشحنات السريعة.

الشحن البحري: لا حظر رسمي، لكن التوتر يرفع أقساط التأمين ويقلل الرحلات المباشرة.

الذهب: التحويل عبر وسطاء يسبب فاقد إيرادات وخصومات سعرية.

الخسائر السنوية المحتملة

الواردات: 69–103 مليون دولار.
الصادرات (خصم سعري على الذهب): 22–55 مليون دولار.
فاقد إيرادات عامة: 10–20 مليون دولار.
الإجمالي: 101–178 مليون دولار/سنة.
خطة التعويض
تنويع المحاور اللوجستية (بحري/جوي).
إنشاء مجمعات شراء للسلع الاستراتيجية.
اتفاقات تمويل تجاري مع بنوك بديلة.
إنشاء بورصة ذهب وطنية ومصفاة معتمدة.
فتح نوافذ تحويلات للمغتربين برسوم منخفضة.
برنامج تأمين شحن جماعي.
تنويع الموردين.
مشاكل التصدير المتوقعة
صعوبة توثيق المدفوعات.
ارتفاع أقساط التأمين البحري.
متطلبات مطابقة معايير صارمة.
خصومات سعرية على الذهب بسبب الوسطاء.

سادسًا: محاولات فتح منافذ بديلة لتصدير الذهب

مع تصاعد التوتر بين السودان والإمارات بعد وقف حركة الطيران والنقل البحري والبري من وإلى بورتسودان، قد تكون البدائل الممكنة أمام السودان لتقليل الاعتماد الأحادي على الإمارات هي البحث عن طرق ومسارات جديدة لتصدير الذهب، سواء عبر أسواق إقليمية قريبة أو من خلال ترتيبات تجارية ومصرفية بديلة. الإمارات ما تزال الوجهة الأساسية لمعظم الذهب السوداني، لكن هذه البدائل قد توفر منافذ إضافية أو جزئية.

التصدير عبر مصر: يتخذ جزء من الذهب السوداني مسارًا عبر مصر كأحد البدائل الجزئية للإمارات، رغم أن الأخيرة ما تزال الوجهة النهائية لمعظم الذهب الرسمي. وتشير بيانات معهد تشاتام هاوس إلى أن نحو 98% من الذهب السوداني ينتهي في دبي حتى أثناء الحرب. كما أوضحت إذاعة فرنسا الدولية أن الحكومة السودانية تدرس بدائل تشمل قطر ومصر، إلا أن المسار المصري يتم غالبًا عبر شبكات تهريب وليس عبر القنوات الرسمية. 2 وتقدّر تشاتام هاوس أن نحو 60% من إنتاج مناطق الشمال ونهر النيل والبحر الأحمر يُهرّب إلى مصر، بينما لم تتجاوز الصادرات الرسمية إلى القاهرة عام 2024 نحو 16 مليون دولار، أي حوالي 1% فقط من إجمالي صادرات الذهب.

التعاون مع قطر: في مايو/أيار 2024، تم التوصل إلى اتفاق بين السودان وقطر لإنشاء مصفاة ذهب في الدوحة لمعالجة الذهب السوداني وتصديره، بهدف تقليل الاعتماد على الإمارات.^4 وأكد المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية أن قطر اتخذت خطوات عملية في هذا الاتجاه، وأن المشروع يمكن أن يوفر منفذًا جديدًا للسودان في حال اكتماله.

السعودية كمنفذ محتمل: رغم امتلاك المملكة بنية لوجستية متقدمة ومصافي ذهب متطورة، إلى جانب سوق محلي قوي للذهب، لا توجد حتى الآن تقارير أو اتفاقيات رسمية نشطة بين الخرطوم والرياض في هذا المجال، ما يجعل دورها المحتمل نظريًا فقط في الوقت الراهن.

من ناحية العملة والتسوية البنكية

تظل التسوية بالدولار الأميركي هي القاعدة في تجارة الذهب، حتى عند استخدام منافذ غير

الإمارات، وهو ما يجعل أي مسار بديل مرهونًا بتوافر قنوات مراسلة دولارية وامتثال صارم لمعايير مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب (AML/CFT).

مصر: الجنيه المصري (EGP) ليس عملة تسوية دولية، والاقتصاد المصري خرج مؤخرًا من أزمة حادة في العملة الصعبة، متحولًا في مارس/آذار 2024 إلى نظام سعر صرف أكثر مرونة ضمن برنامج ممتد مع صندوق النقد الدولي، ما خفّف من اختناقات النقد الأجنبي لكنه لم يجعل الجنيه خيارًا واقعيًا لتسوية صفقات الذهب الكبرى.[7] لذلك، تتم معظم التسويات بالدولار عبر بنوك مراسلة دولية.[8] كما أن إعفاء الحكومة المصرية للذهب المحمول من المسافرين من الرسوم الجمركية في مايو/أيار 2023 يظل إجراءً موجهًا للأفراد، ولا يشكل بنية تسوية مصرفية للتجارة المنظمة.

قطر: الريال القطري (QAR) مثبت عند 3.64 مقابل الدولار، ما يسهل التسوية بالدولار عبر النظام المصرفي المحلي، لكن الدوحة ليست مركزًا عالميًا لتداول الذهب مثل دبي. وقد أُعلن في مايو/أيار 2024 عن اتفاق لإقامة مصفاة ذهب في الدوحة، وهي خطوة قد تقلل الاعتماد على الإمارات من الناحية اللوجستية، لكنها لا توفر منظومة تسوية مصرفية مستقلة، إذ تظل العقود مقومة بالدولار وتتم تصفيتها عبر البنوك المراسلة.

السعودية: الريال السعودي (SAR) مثبت عند 3.75 مقابل الدولار، ويُستخدم على نطاق واسع في التسويات الإقليمية. ورغم امتلاك المملكة بنية تحتية متقدمة ومصافي ذهب حديثة، إلا أن البنوك السعودية تطبق معايير امتثال دولية صارمة، خاصة فيما يتعلق بالذهب القادم من مناطق النزاعات، ما قد يفرض على السودان استخدام الدولار أو الدرهم الإماراتي كعملة وسيطة.

التقييم والبدائل

بناءً على ما سبق، قد يقتصر الدور المصري والقطري والسعودي في المرحلة الحالية على شراء جزء من الذهب السوداني أو تصفيته محليًا عبر مصافيها، دون أن يشكل ذلك بديلًا كاملًا للإمارات ما لم تُحل مسألة العملة وآليات التسوية البنكية. ولتقليل المخاطر المرتبطة بالاعتماد على منفذ واحد، يمكن للسودان دراسة آليات بديلة مثل عقود المقايضة (ذهب مقابل سلع أو وقود)، أو إجراء التسويات عبر بنوك وسيطة خارج الدول المعنية، أو الانضمام إلى أنظمة دفع إقليمية مثل نظام الدفع والتسوية الإفريقي (Pan-African Payment and Settlement System – PAPSS)، شريطة توافر الإطار التشريعي والبنية الفنية اللازمة لتشغيلها بفعالية.

خلاصة: تمثل مصر مسارًا جزئيًا عبر تدفقات محدودة أو غير رسمية، وتوفر قطر قدرة تكرير إضافية، بينما يمكن للسعودية أن تكون سوقًا ومصفاة محتملة، لكنها تفرض متطلبات امتثال مشددة. وحتى الآن، لم يتشكل بديل مصرفي كامل للإمارات، التي ما تزال تحتفظ بموقعها كمركز التسعير والتداول وإعادة التصدير الأوسع في المنطقة (مجموعة العمل المالي – Financial Action Task Force، فبراير/شباط 2024).

سابعًا: الجهاز المصرفي السوداني ودوره في تجارة الذهب

عانى الجهاز المصرفي السوداني من عزلة ممتدة على مدى عقود، بفعل تراكم العقوبات الاقتصادية والقيود المفروضة على التحويلات المالية والتعاملات البنكية الدولية. هذه العزلة أدت إلى تقلص شبكة البنوك المراسلة الدولية، واضطرار البنوك السودانية للاعتماد على قنوات محدودة، كان أبرزها البنوك العاملة في الخليج وبشكل خاص في دولة الإمارات العربية المتحدة. وقد مثّلت هذه القنوات المصرفية منفذًا رئيسيًا لتسوية المدفوعات وتحصيل عوائد الصادرات، ولا سيما صادرات الذهب، عبر آليات مثل فتح الاعتمادات المستندية، وتمرير التحويلات بالعملات الأجنبية، وتسهيل عمليات إعادة التصدير.

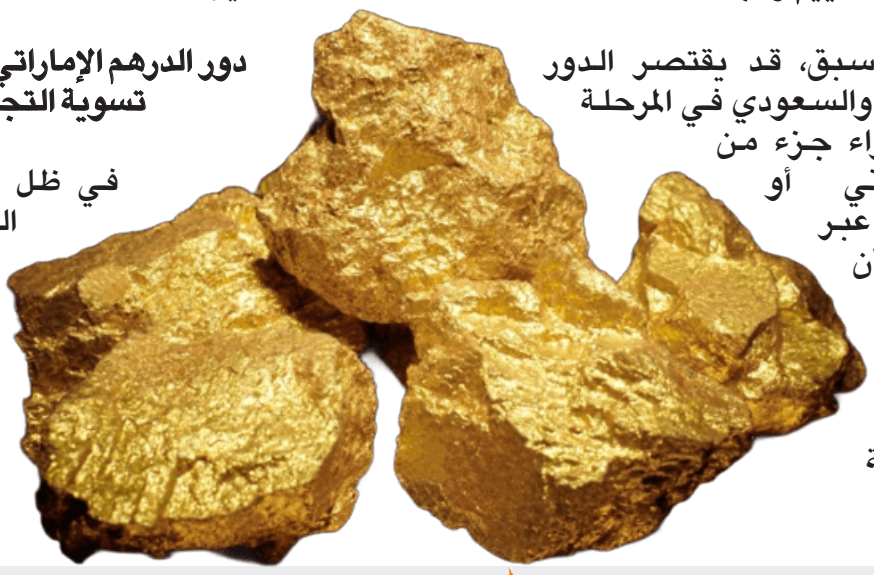

دور الدرهم الإماراتي والعملات المحلية في تسوية التجارة الخارجية

في ظل القيود المفروضة على التعامل بالدولار الأمريكي واليورو نتيجة العقوبات، أصبحت معظم التعاملات المصرفية المرتبطة بنشاط الصادر والوارد تُقيَّم

وتُسوى بالدرهم الإماراتي، لكونه عملة لا تخضع لنفس مستوى التدقيق والمقاطعة، ويسهل تداوله عبر البنوك المراسلة في المنطقة. هذا الأمر جعل الدرهم القاعدة المرجعية في تسعير المستندات التجارية وتحصيل قيم الصادرات، بما في ذلك الذهب، إضافة إلى تسوية المدفوعات الخاصة بالواردات الحيوية. كما أن واردات البترول، التي تُسعَّر عادة بالدولار، كانت تُموَّل في كثير من الحالات عبر تسويات بالدرهم باعتباره وسيطًا عمليًا بين الجنيه السوداني والدولار. وفي هذا السياق، يطرح بعض الخبراء مقترحًا لاعتماد العملة المحلية في تسوية الصفقات التجارية على مدار العام، مع إجراء التسوية النهائية للميزان التجاري في نهاية السنة بالدرهم أو أي عملة قابلة للتحويل، وهو ما يمكن أن يخفف الضغط على احتياطيات النقد الأجنبي ويعزز مرونة النظام التجاري في مواجهة الصدمات الخارجية.

كما لعبت فروع البنوك السودانية والعربية في الإمارات دورًا رئيسيًا في تحصيل عوائد الصادرات، وخاصة الذهب. لكن هذا الارتباط الوثيق جعل الجهاز المصرفي عرضة لاعتماد مفرط على منفذ مصرفي وتجاري واحد، ما زاد من هشاشته أمام التحولات السياسية أو الاقتصادية في هذه المراكز المالية

ثامنًا: البدائل الممكنة – نظام الدفع والتسوية الإفريقي (PAPSS))

يبرز نظام الدفع والتسوية الإفريقي (PAPSS) كأحد البدائل الاستراتيجية القابلة للتطبيق. أطلقه البنك الأفريقي للتصدير والاستيراد (Afreximbank) بالتعاون مع منطقة التجارة الحرة القارية الأفريقية (AfCFTA)، بهدف تمكين الدول الأفريقية من تسوية المدفوعات التجارية بالعملات المحلية بدلًا من الاعتماد على عملات وسيطة مثل الدولار أو اليورو.

يعمل النظام عبر ربط البنوك المركزية في الدول المشاركة، بحيث يتمكن المصدّر في السودان من تحصيل مدفوعاته بالجنيه السوداني من مستورد في دولة أفريقية أخرى، بينما يسدّد المستورد المقابل بالعملة المحلية لبلده. يتولى النظام بعد ذلك تحويل القيمة وتسويتها في نفس اليوم أو خلال فترة زمنية وجيزة، ما يخفض تكاليف المعاملات ويختصر زمن التسوية.

انضمام السودان إلى PAPSS من شأنه أن يقلل من الاعتماد على البنوك المراسلة الخارجية، ويوفر سيولة أفضل بالعملات المحلية، ويدعم التجارة البينية الأفريقية، خاصة في صادرات الذهب والمنتجات الزراعية. كما يسهم في تخفيف الضغط على احتياطيات النقد الأجنبي، ويعزز استقلالية وكفاءة النظام المصرفي الوطني.

تاسعًا: آفاق وسياسات مقترحة

تنويع المنافذ التجارية مع أسواق بديلة في آسيا وأفريقيا.

توحيد البيانات الإحصائية بين البنك المركزي والشركة السودانية للموارد المعدنية ونشرها بانتظام.

تعزيز الرقابة على المناجم والحدود للحد من التهريب.

تطوير أساليب التمويل التجاري البديل مثل المقايضة أو الدفع بالعملات المحلية.

إصلاح النظام المصرفي لزيادة القدرة على التعامل مع شركاء متنوعين.

الخاتمة

تعكس التجارة الخارجية السودانية في ظل الحرب والعقوبات مزيجًا من الفرص والتحديات. وبينما يظل الذهب العمود الفقري لعوائد النقد الأجنبي، فإن الاعتماد المفرط على مسار واحد وصديق تجاري واحد يضاعف المخاطر. المطلوب رؤية استراتيجية شاملة تعيد هيكلة التجارة الخارجية، وتدمج القطاع غير الرسمي، وتضمن استقرار الموارد السيادية. وفي هذا الإطار، تمثل إقامة بورصة وطنية للذهب بشكل عاجل خطوة محورية لتنظيم السوق وتحديد أسعار شفافة وربطها بالأسواق العالمية، إلى جانب إنشاء مصافٍ وطنية وإقليمية للذهب لضمان زيادة القيمة المضافة محليًا، بما يعزز التوجه نحو إيقاف تصدير الذهب خامًا وتحويله إلى منتجات مكررة أو نصف مصنعة ذات عائد أعلى. كما يمكن تنويع أدوات الاستثمار عبر إصدار شهادات استثمار مغطاة بالذهب تستهدف الأفراد والمؤسسات، وتنفيذ برنامج «السبيكة للاستثمار» الذي يتيح للمواطنين والمستثمرين شراء سبائك ذهب صغيرة أو متوسطة الحجم كأداة ادخارية واستثمارية آمنة، مما يوسع قاعدة المشاركة الاقتصادية، ويقلل من التهريب، ويوجه الذهب نحو قنوات رسمية تدعم الخزانة العامة. وتمثل هذه الإجراءات أيضًا مدخلًا مهمًا لبناء احتياطي استراتيجي من الذهب في البنك المركزي، بما يعزز الثقة في النظام النقدي ويسهم في دعم العملة المحلية المنهارة واستعادة جزء من استقرارها.

كادوقلي تموت جوعًا..

أوراق التبلـدي.. وجبة أخيـرة في الحصار

ملخص

تحولت كادوقلي إلى مدينة محاصرة يتجسد فيها الموت جوعًا، بعدما انقطعت عنها الإمدادات منذ يوليو 2023، فصار الناس يقتاتون أوراق الأشجار والفئران، وبلغت المأساة ذروتها بموت الطفل خليفة عبد العال وهو يحاول جلب ورق التبلدي لإطعام أسرته.

الحصار الذي تفرضه قوات الدعم السريع والحركة الشعبية – شمال، أغلق كل طرق الإمداد، وخلّف ندرة حادة في الغذاء والدواء، وانتشار وفيات بين الأطفال والأمهات والمرضى، إلى جانب القتل والاعتقالات من جميع الأطراف.

رغم محاولات إسقاط مساعدات غذائية جوًا، إلا أن الحصار اشتد مجددًا، مع ارتفاع جنوني للأسعار وعجز المواطنين عن الشراء أو الهرب، فيما اندلعت احتجاجات تحولت إلى أعمال عنف، قابلتها السلطات بالرصاص، فزاد المشهد قتامة.

المبعوث الأممي رمطان لعمامرة وصف السودان بأنه يعيش أكبر أزمة إنسانية في العالم، حيث يحتاج أكثر من 30 مليون شخص للمساعدة، فيما نزح 12 مليونًا عن بيوتهم، مؤكدًا أن وقف إطلاق النار والحوار العاجل هما الأمل الأخير لتجنب الهاوية.

أفق جديد

تسلق خليفة عبد العال، ابن العشر سنوات، شجرة التبلدي العملاقة في كادوقلي وهو يحمل حلمًا صغيرًا: أن ينزل بعض الأوراق ليطهو منها طعامًا يسد جوع إخوته الصغار، لكن دقائق قليلة فصلت بين الأمل والمأساة، إذ ارتطم جسده بالأرض جثة هامدة.

لم يكن خليفة ضحية سقوطٍ عابر، بل ضحية حصار طويل جعل الجوع أفتك من الرصاص، وحوّل الأشجار إلى غذاء، وحوّل حياة الآلاف في جنوب كردفان إلى صراع يومي مع الموت.

لم يكن الطفل خليفة يعرف أن صعوده شجرة التبلدي سيكون آخر محاولاته لإطعام إخوته، «صرخة وارتطام بالأرض»، تاركًا أمّه في صدمة ومدينة بأكملها شاهدة على موت الجوع.

يقول الصحفي فيصل سعد لـ«أفق جديد» إن ابن أخيه خليفة عبد العال ظل يُقيم مع أسرته في مدينة كادقلي عاصمة ولاية جنوب كردفان، ويعتبر الأكبر بين إخوته الصغار.

وأوضح أن «مليشيا الدعم السريع» والحركة الشعبية – شمال بقيادة عبد العزيز الحلو، وتحالف «تأسيس» فرضت حصارًا على المواطنين العُزّل في منطقتي كادوقلي والدلنج، وقطع سلاسل الإمداد وملاحقة الفارين من المواطنين بالتعذيب والقتل.

لافتًا إلى أن مدينة كادوقلي تعاني من حصار مفروض عليها منذ يوليو 2023، بعد انتقال الحرب إلى مناطق كردفان، مع قطع طريق الإمداد، وما زاد الأوضاع تعقيدًا تحرك الحركة الشعبية – شمال بقيادة عبد العزيز الحلو، لقطع طريق الدلنج – كادوقلي عند منطقة «الكرقل» الذي امتد لأكثر من عام قبل فتحه بواسطة القوات المسلحة.

وأوضح سعد في حديثه لـ«أفق جديد»، أن منطقة كادوقلي فقدت أي نوع من الإمداد الغذائي والدوائي، وانتشرت الوفيات نتيجة للمضاعفات خاصة عند الأطفال حديثي الولادة والأمهات أثناء الولادة، والمصابين بالأمراض المزمنة لنقص الغذاء، إضافة إلى القتل بسبب المعارك المتكررة من قبل الحركة الشعبية.

وأشار إلى أن منظمة «سمارتن بورس» أسقطت أواخر العام الماضي حوالي 30 ألف طن من المواد الغذائية من جنوب السودان، ولكن الحال لم يستمر طويلًا حتى عاد الحصار، وهذه المرة من كل الاتجاهات بعد أن سيطرت قوات الدعم السريع على طريق (الأبيض- الدلنج)، وأحكمت الحركة الشعبية قبضتها على الناحيتين الجنوبية والشرقية، وأغلقت كل الطرق المؤدية من وإلى المنطقتين، وندرت السلع الغذائية والعلاجية مع ارتفاع جنوني للأسعار وعدم وجود فرص للعمل .

وأشار فيصل سعد إلى صعوبة الفرار أو التحرك خارج المنطقة بحثًا عن أي شيء، حيث الاعتقالات من جميع الأطراف المتحاربة تحت تهمة ذريعة التخابر مع الطرف الآخر، وأحيانًا القتل المباشر وهناك حالات هروب بلا عودة.

وأكد أن المواطنين الآن يقتاتون على جذوع الأشجار وقصة الطفل خليفة عبد العال هي أكبر دليل، حيث درج هؤلاء الأطفال على إنزال ورق شجر التبلدي لإعدادها كوجبة رئيسية، وهي طعام أهل البلد، إذ يصعد الأطفال إلى أعلى الأشجار لإنزال الورق حتى صار في أعلى فروع الشجر وبعيدًا عن متناول الأيدي الأمر الذي يتطلب صعودًا ما أدى إلى سقوطه ووقع جثة هامدة.

وأضاف: «ينقسم الناس هناك بين أكل ورق الأشجار مثل التبلدي وورق شجرة اللالوب والنبق والفئران التي انقرضت تمامًا بسبب الإقبال الكبير عليها».

ونبه سعد إلى أن الأوضاع في كادوقلي الأوضاع ذاتها التي تعيشها منطقة الدلنج ولكن هي أفضل حالًا من كادوقلي لانتشار أسواق (السمبك)، فظلت تصلها بعض السلع عبر التهريب ولكن هناك أزمة كبيرة في السيولة النقدية وعدم القدرة على مجاراة السوق.

وأوضح أن المنطقة الشرقية الواقعة من مدينة أم روابة إلى حدود جنوب السودان، وهي مناطق العباسية - رشاد- أبوجبيهة- كالوقي- تلودي- الليري والقرى المجاورة لها تعاني هي الأخرى من سيولة أمنية وقتل عشوائي من جهات مجهولة في الشهر الماضي، وشهدت المنطقة 9 حالة وفاة مجهولة 4 منها بمنطقة أبو جبيهة.

وذكرت المواطنة آسيا عبد الباقي (42) عامًا التي تسكن مدينة الدلنج أن أسعار المواد الغذائية مرتفعة، وقد بلغ سعر ملوة ملح الطعام 200 ألف جنيه.

وقالت آسيا في حديثها لـ«أفق جديد»: إن كادوقلي والدلنج تعانيان الموت بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية، وبلغ سعر ملوة الذرة بلغ 45 ألف جنيه، وملوة اللوبيا 75 ألف جنيه.

وفي يوليو الماضي، نظم مواطنون مظاهرات في مدينة كادوقلي احتجاجًا على ندرة الغذاء خاصة الذرة والبصل والملح والزيت، لكن الاحتجاجات تحولت إلى أعمال عنف ونهب وحرق طالت سوق المدينة.

وقابلت الأجهزة الأمنية والعسكرية في المنطقة الاحتجاجات بعنف مفرط بعد أن استخدمت الذخيرة الحية في تفريق المحتجين، مما أسفر عن مقتل شخص واحد على الأقل وإصابة العشرات من المواطنين.

«السودان لا يستطيع تحمل يوم آخر من الحرب – على العالم أن يتحرك الآن»، هكذا قال رمطان لعمامرة، المبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة للسودان.

وقال لعمامرة في بيان الجمعة الماضي: «ربما لم تطلعوا على ذلك في العناوين الإعلامية الرئيسية على قلتها، إلا أن السودان يشهد منذ وقت طويل أكبر أزمة إنسانية في العالم. أكثر من 30 مليون شخص بحاجة ماسة للمساعدات الإنسانية. وتزداد الأوضاع سوءاً مع تدهور الأمن الغذائي وارتفاع حاد في معدلات سوء التغذية. كما تساهم الاشتباكات المسلحة في استشراء الكوليرا والأمراض المعدية الأخرى. وبلغ العنف القائم على النوع الاجتماعي مستويات مقلقة، وتسبب النزاع بحرمان 17 مليون طفل من التعليم، مما ينذر بكارثة حقيقية تلم بجيل بأكمله».

وأضاف، «لكن لا يزال هناك وقت لتغيير هذا المسار. لا تزال هناك فرصة أمام القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع لإنقاذ السودان من الهاوية، إذا وجد المزيج السديد من الإرادة السياسية، واستخدام الضغط وإسداء الدعم، أما الأمر الأكثر إلحاحًا الآن فهو الاتفاق على وقف فوري لإطلاق النار، والانخراط في حوار حقيقي لمعالجة أسباب الصراع. وبعد سنوات من العمل على حل أزمات عالمية شديدة التعقيد، بات من الواضح بالنسبة لي أن الحوار أفضل من الحرب، كما قال رئيس الوزراء البريطاني السابق هارولد ماكميلان. اليوم هناك نافذة ضيقة – لكنها تنغلق بسرعة – للشروع في هذا الحوار. فموسم الأمطار يقترب، وقد تتراجع المعارك البرية على المدى المنظور. وأقف بمعية الشركاء الدوليين الرئيسيين، على أهبة الاستعداد للعمل مع الأطراف المتنازعة على اتخاذ تدابير لخفض التوتر، تتيح وصول المساعدات، وحماية المحاصيل، والحفاظ على المنازل والمدارس والمستشفيات. هذه الخطوات يمكن أن تبني الثقة – والأهم من ذلك، أن تنقذ العديد من الأرواح.

وحسب لعمامرة، فإن لا أحد يعرف على وجه الدقة على عدد القتلى في السودان منذ 15 أبريل 2023، حين وجهت القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع أسلحتها نحو بعضها البعض. لكن الأكيد أن عدد الضحايا مذهل ويزداد سوءاً يومًا بعد يوم. واحد من أصل أربعة سودانيين – أي زهاء 12 مليون شخص – اضطروا للنزوح من منازلهم. لفهم حجم هذه الكارثة، تخيل أن جميع سكان كاليفورنيا ونيويورك وفلوريدا اضطروا فجأة للفرار بسبب الحرب.

الناطق الأخرس:
هل ضاق الوطن أم كبرت الزنزانة؟

خالد فضل

ملخص

الكاتب يستحضر أقوال شعراء كبار ليصف حال الوطن؛ حيث تحولت هموم الليل إلى جروح مفتوحة، والجوع صار قدرًا لأسرٍ تبحث عن لقمة ودواء بلا جدوى.

يشير إلى أن خريطة البلاد تتشظى؛ أنهار تعبر بجواز، وطرقات تغوص في الوحل، بينما البلد مطعون بخناجر السرقة والانقلاب والنهب، يرزح تحت الحزن العميق.

يوضح أنه رغم خصب الأرض ومواسم المطر، يتحول المواطن إلى غريب في بلده، محاصرًا بالحواجز والزنازين التي تكبر بدل أن يضيق الوطن.

يقول الكاتب إن «الناطق الأخرس» هو المواطن المكلوم الذي لا يملك سوى الكلمة، يواجه المنع والكبت لكنه يتمسك بالأمل: أن يعود الفجر، وتعود العصافير، ويتسع الوطن من جديد.

وقديمًا قال صديقنا عاطف خيري: كلما زاد الليل نجمة في كتف العسس جرَتْ العصافير المطار. وأقدم منه قال مظفر النواب: ويسألني من أنت.. خجلت أقول له.. قاومت الاستعمار فشرّدني وطني.. وهو من قال: الحزن جميل جدًا، والليل بدون هموم عديم الطعم.. ثم ها هي هموم الليل تطوي الفؤاد بين أكمامها، فيصير القلب إلى همّ، ويطفر من بين خلاياه التداعي والتأمل.

وتفرد خريطة بلدك، بسموات طيورها النازحة، بريق نجومها الخافتة، والقمر المنطفئ، بغاباتها المظلمة، وفيافيها القاحلة، وخضرتها الذابلة، المَحَلْ يطبق على الوديان؛ رغم أنف النحو وضبط المبتدأ مرفوعًا. تلك لغة الناس العادية حيث لا جار ولا مجرور، وعناد تجاه الرفع يسود، الجوع أبو الكفار وملوة العيش حلم من يبيت القَوَىَ.. يقول أخ شقيق، بعد 28 شهرًا من اندلاع الحريق، تأتينا كيلة عيش، حبة لوبيا وحفنة ملح زاد. وفي البيت بضعة أفواه يلوب على لسانها السؤال ببراءة الأطفال.. بابا لماذا الحرمان، ولا مجيب، وطفلة تتلوى من ألم، تصرخ تنشد الدواء والحكيم، فلا من يسكت الصراخ، وهموم الليل تستحيل إلى تباريح .

تحوم حولك خيوط وأطياف، وخارطة بلدك تتشظى، الأنهار تعبر الآن بجواز؛ إنْ أفلت الجواز من قائمة (الممنوع) والوديان والدفق السماوي الرهيب السيول، ومن رهيد البردي نفحة بوح محظور.. تفرد الخريطة، بتضاريس السهل والجبل، الصعب والوعر واللوري يغوص في الوحل، يتداعى لنجدته من أفصح الحديث أو رَطَنْ هيلا هيلا هوب ينزاح العطب، بلدك المغروس في الكُرَبْ.

تفرده على كفك، كما الولد لا يكبر أبدًا في إحساس والديه، من بلغ الشيب ومن في أول خطوات المشي درج، الأم تسهد، قرب جناها، تربض في أسوار المستشفى تلهج بالدعاء لطفلها (الشيخ) كما تهدهد بين ذراعيها ذاك الغرير الزغب. هو بلدك.. المطعون بخنجر من سرق، اعتدى، انقلب أو نهب. هو بلدك المسجون في تداولات العجب، والحزن جميل يقول صديقنا مظفر... والليل بدون هموم عديم الطعم، وطعم الغصة في حلقك شبّ نارا ذات لهب.

الطقس خريف، والجو لطيف، وأوان الطلق يوليو موعد إله الخصب (تموز) في معاشرة الأرض (عشتار) فميلاد الخصب، وفرش التراب لون الخضرة مدّ البصر ،والنظر انكسر أمام حاجز التفتيش فأنت غريب الوجه يا هذا، ليس لك في بلدك سوى التنشين. بلادك لم تضق بل كبرت الزنزانة ويسلم أزهري من الشين والكعب.

بلادك، بلادنا.. فضيلي جماع، ود المكي إبراهيم وود الجزولي كمال، ويا رمال حلتنا زولًا كان بريدك يا حليلو... أبّا موسى متين جيتا من الغربة سلام عليك.. وبوصيكم على ضيف الهجوع عشّوهو.. مطر الرشاش الرشّ.. ودارفور بلدنا بمفعم (الإحساس) ونبضات الناس ومشيت جبال نوبا شفت لي ظبية سموها زينوبا.. الحوت يا أولاد الخرتوم.. والدرفونة مالك، سيدي دوشكا.. وإيه إيه يا ولاد الربّابة (الاشِبّا ودوبا) وبنات حمر والبقارة في الرقصة مع النقارة، والمردوم.. أنا يا عرييس.. الصغيرون عليك الله سوى التويا علينا مرّة.. كمبلا... وازا وسبت عثمان، أنا عندي حبيبة في قيسان.. هل هذا بلدك؟ وحلفا دقيم ولا باريس إنعل (.....) يا ابّود ..

والناطق الأخرس، باسم الظلم؛ معتصمًا بالميناء يذيل المنشور (مواطن) والمواطن مكلوم.. يفرج عن كاميرات المراسلين لتسع عدساتها بعض أماكن في المدينة المهمومة وبعض المرافق محظور، بعض المشاهد محذوف، بعض المواجع مكتوم.. الناطق الأخرس (المواطن) يا صاحبي يزازي حول (كلمة) وحول (لفظ) يحوم.. قلها فإنك ميت وإنهم إلى يوم يرجأون.. الفجر آت.. وغدًا يلوح.. قلها.. والليل هموم والحزن جمييل. غدًا تعود العصافير تلك التي جرت المطار.. يتسع الوطن وتضيق الزنازين.. ولن تخجل أمام التحقيق.. قاومت الاستعمار فانتصر وطني.. وطننا الوسيع يا مريود.. شايف كيف، الكسرة الطاعمة، غدًا نعود.. وتعود بفتح الكاف كما في الكسر تعود.

الفِجّــة

عثمان يوسف خليل

ملخص

المقال يتناول لهجة أهل القرى في منطقة الجزيرة وكيف حافظت على أصالتها رغم قسوة الحروب وتغيّر الأحوال.

الحروب لم تدمّر العمران فقط، بل أدخلت مصطلحات جديدة على اللغة اليومية.

من أبرز هذه الكلمات: "شفشفة" بمعنى الاستيلاء الكامل بلا تمييز، وتشبهها كلمات مثل «نشّف» و«شفط».

تطورت الاستخدامات حتى صارت كلمة «شفط» تُقلب إلى «شطف» بمعنى النظافة، في مفارقة لافتة بين الدلالة والمعنى.

تناولنا في الفِجّة الفاتت بعضًا من صور وحكاية اللهجة في مجتمع القرية في منطقة الجزيرة، التي نحسب أنها عبارة عن بوتقة تكاد تكون واحدة، ونسبة لوضعها اختيرت أن تكون أكبر منطقة للزراعة بالري الانسيابي في المنطقة، وكيف أن الناس كانت وما زالت تهوى ذلك المجتمع المتكامل، الذي ما يزال يحتفظ ببعض أصالته، والكثير من ملامح لسانه الشعبي، المتمثلة في لهجة خاصة، وقد أشرنا إليها في مقام سابق، رغم كل ما مرّ به من ظروف قاسية بعد الحرب الدامية — الحرب التي لم يسلم منها أحد، لا في منطقة الجزيرة ولا في سائر السودان.

ولسنا هنا في مقام النحيب، لكن الذي دفعنا إلى مواصلة الحديث هو أن الحروب، كما نعلم، لا تكتفي بتخريب العمران والوجدان، بل تفرز حياة جديدة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. ومن بين مظاهر هذه الحياة الجديدة، تغيّر اللغة، ودخول مصطلحات جديدة على قاموس اللهجة المحلية.

ومن هذه المصطلحات التي ظهرت في الآونة الأخيرة، كلمة «شفشفة» — وهي تعني الاستيلاء على كل شيء تقع عليه أيدي تلك المجموعات المتمردة، دون مراعاة أو تمييز.

وكان الناس، قبلها، يستخدمون عبارة «نشّف كل شيء»، وهي تقارب في معناها كلمة «شفشفة، إذ تعني الأخذ بلا رحمة أو إبقاء. وهناك أيضًا كلمة «شفط»، التي تُستعمل للدلالة على المعنى ذاته تقريبًا. فيقال: فلان شفط كل شيء، أي لم يترك شيئًا. ويُطلق على الفاعل حينها اسم «شفّاط»، وهو توصيف يحمل دلالة سلبية تعكس الجشع والسلب الكامل. العجيب أن الناس تتفنن في قلب الكلمات، فهناك على سبيل المثال من يقلب شفط إلى شطف وهي عادة معروفة في اللغة العربية.. الغريبة أن الناس يستعملونها بمعنى النظافة كأن يقولوا (شطف كرعيك، شطف الهدوم، شطف العدة).

ولأهل السودان العجب العجاب...

المملكة المتحدة

مسؤولة أممية تلتقي ناجيات من العنف الجنسي في السودان وتسمع «أسوأ» قصة اغتصاب

ليلى بكر: 84 ألف حامل يلدن خلال أشهر في ظروف صعبة وأدعو أطراف الحرب لعدم استخدام النساء كأدوات للحرب

ملخص

المديرة الإقليمية لصندوق الأمم المتحدة للسكان، ليلى بكر، التقت ناجيات من العنف الجنسي في السودان، وروت أنها سمعت «أسوأ» قصة اغتصاب خلال 30 عامًا من عملها الإنساني.

حذرت من أن نحو 84 ألف امرأة حامل سيضعن في ظروف قاسية خلال الأشهر المقبلة، حيث يندر الطعام وتغيب الرعاية الصحية، ما يضاعف معاناة النساء.

أكدت أن الصندوق يقدم خدمات منقذة للحياة للنساء والفتيات، خصوصًا الناجيات من العنف الجنسي، مع التركيز على الرعاية والدعم النفسي لا التحقيق مع الضحايا.

ودعت الأطراف المتحاربة والمجتمع الدولي لعدم استخدام النساء كأدوات حرب، مشددة أن أمان المرأة حق عالمي، وأن السودان بحاجة عاجلة إلى السلام والتعافي المستقر.

أظهرت تفاعلات لقاءات أجرتها المديرة الإقليمية لصندوق الأمم المتحدة للسكان للدول العربية، ليلى بكر، مع «ناجيات من العنف الجنسي في السودان» بعض حقائق مآساتهن، وهي واحدة من أبشع الفواجع، في زمن الحرب.

وكشفت تفاصيل قصة شابة تعرضت للاغتصاب، ووصفتها بأنها القصة «الأسوأ» التي سمعتها خلال 30 عامًا.

وأفادت في حوار مع «أخبار الأمم المتحدة» بأن «حوالى 84،000 امرأة حامل في السودان من المرجح أن يلدن خلال الأشهر الثلاثة المقبلة في ظروف مليئة بالتحديات».

وأضافت: «كوني امرأة أتمنى لو أنني كنت واحدة من اللواتي يتطلعن إلى تلك اللحظة، ولكن بقليل من القلق».

ولكن – والحديث للسيدة ليلى – إذا كنتِ تتعرضين في كل زاوية للعنف القائم على النوع الاجتماعي، بما في ذلك العنف الجنسي في بعض الحالات، حيث يكون الطعام نادرًا، وحيث تكون الرعاية الصحية في أفضل حالاتها بدائية، يمكنكِ تخيل القلق الذي تمر به تلك المرأة.

قصة مؤثرة

وروت ليلى بكر قصة وصفتها بأنها «واحدة من أسوأ القصص» التي شهدتها على الإطلاق خلال عملها في المجال الإنساني لأكثر من 30 عامًا.

حكت قصة شابة في الثالثة والعشرين من عمرها التقتها في أحد الملاجئ خلال زيارتها إلى السودان في سبتمبر من العام الماضي.

كانت المرأة خجولة وغير قادرة على الكلام بسبب الصدمة، لكنها تمكنت أخيرًا من الهمس بكلمة «اغتُصبت» في أذن ليلى، معترفة بأنها المرة الأولى التي تستطيع فيها النطق بهذه الكلمات.

حماية الخصوصية

ووصفت ليلى لقاءها مع المرأة بأنه كان بمثابة نقطة تحول، وأكدت أنها قامت بحماية خصوصية الفتاة أمام الآخرين، قبل أن تستمع إلى قصتها

الكاملة في هدوء.

وقالت إنه بفضل خدمات المركز الذي يدعمه الصندوق، استطاعت هذه المرأة الشابة أن تبدأ رحلة التعافي من صدمتها، بعد أن كانت مجبرة على مواجهة مغتصبها يوميًا في مكان عملها.

وأعربت ليلى عن قلقها إزاء ما وصفته بـ«التراخي والصمت حول الوضع في السودان، وقلة الاهتمام العالمي بما يحدث، والفشل في ضمان ألا يكون أمان وسلامة المرأة أمرًا ثانويًا».

أمان المرأة حق عالمي

وقالت إن أمان المرأة وسلامتها وحقها في ولادة كريمة، وقدرتها على رعاية نفسها وعائلتها، والوصول إلى رعاية صحية آمنة، هي حقوق عالمية.

وتابعت: «آمل أن نتمكن من زيادة الوعي حول كيفية إعادة السلام والأمن إلى السودان والانتقال به إلى بيئة مستقرة يمكننا فيها مواصلة البناء على بعض الجهود التي بذلناها من قبل».

خدمات للنساء والفتيات

وأوضحت أن صندوق الأمم المتحدة للسكان للدول العربية وشركاءه في السودان يبذلون قصارى جهدهم لتقديم خدمات منقذة للحياة بالنسبة للنساء والفتيات ولا سيما الناجيات من العنف الجنسي.

دعوة للمجتمع الدولي والأطراف المتحاربة

ودعت المجتمع الدولي والأطراف المتحاربة عدم السماح باستخدام النساء والفتيات كأدوات للحرب، مؤكدة أن هناك تحديات تواجه النساء في السودان، وأشارت إلى دور الصندوق في مساعدتهن.

وقالت إن الصندوق يبذل جهوده للتأكد من إيصال المساعدات الإنسانية وتيسير الولادة الآمنة للنساء.

وأضافت: «نقوم بأشياء لا يوليها الآخرون اهتمامًا، لكنها مفيدة بشكل لا يصدق ومنقذة لحياة النساء المصابات بالصدمات».

مساعدة لا «تحقيق»

وشددت على أن الصندوق لا يمارس دور المحقق، بل يركز على توفير المساعدة الفورية لكل من يطلبها دون تمييز.

وشرحت ذلك بالقول: «عندما تدخل إلينا امرأة أو فتاة، لا نسألها عن هوية الجاني أو عما حدث لها، بل نركز على تقديم الرعاية الجسدية والاستشارات اللازمة لمساعدتها على تجاوز الصدمة».

«ماذا يخيفني في السودان»؟

سُئلت عن أكثر ما يخيفها بشأن الوضع في السودان، وما الذي يمنحها الأمل، ردت المسؤولة الأممية: «أكثر ما يخيفني هو أن هذا البلد واحد من أجمل البلدان التي زرتها على الإطلاق، به الكثير من الأشخاص الرائعين والودودين، وموارد وفيرة، وذات يوم كان يطعم القارة الأفريقية بأكملها بالقمح. يخيفني جدًا - والحديث لليلى- أن يواجه الآن المجاعة. أكثر ما يزعجني هو أننا لا نستطيع إنهاء الصراع بسرعة كافية وضمان أن يكون التعافي فوريًا، ولكنه مستقر أيضًا، حتى لا تتكرر دورات العنف هذه».

مجلس الأمن يرفض السلطتين في السودان: بين الضوء الأخضر للتفاوض وحسابات الميدان

حاتم أيوب أبو الحسن

ملخص

يستعرض الكاتب بيان مجلس الأمن الدولي الذي اصدره مؤخراً برفض تشكيل حكومتين متوازيتين في السودان، واعتبر الخطوة تهديدًا لوحدة البلاد، داعيًا إلى وقف القتال ورفع الحصار عن الفاشر، وهو موقف رحبت به الحكومة وعدة قوى سياسية.

ويوضح أن البيان أشار إلى أن الشرعية لن تُمنح لأي سلطة تُفرض بالقوة، وجاء بعد لقاء البرهان بالمبعوث الأمريكي، ما فُهم كإشارة دعم أمريكية للحكومة المركزية في مواجهة مشروع «السلطة الموازية».

يذكر أن المشهد مفتوح على ثلاثة مسارات: تفاوض مباشر برعاية دولية، أو استمرار المراوحة الميدانية مع بيانات بلا تنفيذ (وهو الأرجح حاليًا)، أو تصعيد إقليمي إذا فشلت الضغوط.

يؤكد الكاتب أنه على المستوى الإقليمي، تميل مصر لدعم الجيش، وتواجه الإمارات اتهامات بدعم الدعم السريع مع احتمال تعديل موقفها، بينما تحافظ تشاد على الحياد، وتراقب إثيوبيا لتوظيف الوضع، وتبقى السعودية مرشحة لاستضافة المفاوضات، فيما يسعى البرهان لاستثمار الموقف الدولي لتعزيز شرعيته مقابل الدعم السريع.

في تطور سياسي لافت، أصدر مجلس الأمن الدولي بيانًا حاسمًا رفض فيه إعلان تشكيل حكومتين متوازيتين في السودان، واعتبر الخطوة تهديدًا مباشرًا لوحدة البلاد وتفاقمًا للأزمة الإنسانية، ودعا إلى وقف القتال ورفع الحصار عن مدينة الفاشر.

وقد رحبت الحكومة السودانية وعدد من القوى السياسية بالموقف الدولي، بينما أكد تحالف «تأسيس» أن التفاوض هو السبيل الوحيد لبناء دولة مدنية ديمقراطية. البيان حمل رسائل واضحة بأن المجتمع الدولي لن يمنح الشرعية لأي سلطة تُفرض بالقوة أو خارج العملية السياسية المعترف بها، وجاء صدوره بعد أيام من لقاء جمع الفريق عبد الفتاح البرهان بالمبعوث الأمريكي في سويسرا، وهو لقاء بدا وكأنه إشارة دعم أمريكية للحكومة المركزية في مواجهة مساعي «السلطة الموازية»، وربما أسهم في تهيئة الأجواء لبيان دولي بهذه الحدة.

القراءة المتأنية لهذا الموقف تكشف عن استعداد دولي لفتح مسار تفاوضي جديد، لكن نجاحه يظل مشروطًا بآليات ضغط حقيقية على الأطراف، وهو ما لم يتضح بعد، خاصة في ظل استمرار سيطرة قوات الدعم السريع على مساحات واسعة وسعي الجيش لتثبيت مواقعه في جبهات أخرى.

ومن المرجح أن تشهد المرحلة المقبلة أحد ثلاثة مسارات: تفاوض مباشر برعاية دولية إذا تحركت واشنطن بالتنسيق مع الاتحاد الإفريقي و«الإيغاد» للتوصل إلى وقف إطلاق نار مراقب، أو استمرار المراوحة الميدانية مع بيانات دولية متكررة بلا تنفيذ، وهو السيناريو الأقرب في المدى القريب، أو تصعيد إقليمي إذا فشلت الضغوط، ما قد يحول السودان إلى ساحة صراع بالوكالة.

في هذا السياق، تبدو مواقف الأطراف الإقليمية مؤثرة؛ فمصر تميل لدعم الجيش باعتباره المؤسسة الشرعية الحامية لوحدة الدولة، بينما تواجه الإمارات اتهامات بدعم جناح في الدعم السريع، مع احتمال تعديل موقفها تحت ضغط واشنطن، وتحافظ تشاد على توازن حذر لتأمين حدودها، فيما تراقب إثيوبيا المشهد وقد تستغله لتعزيز نفوذها في ملفات إقليمية، بينما تبقى السعودية مرشحة لاحتضان أي مفاوضات إذا توافرت الإرادة الدولية.

أما على مستوى الحسابات الداخلية، فإن البرهان يمكنه استثمار البيان الدولي لتعزيز موقفه التفاوضي من خلال إظهار نفسه كحليف للمجتمع الدولي في مسار السلام، وتوظيف الاعتراف الأممي بسيادة ووحدة السودان لتقويض شرعية «السلطة الموازية»، إضافة إلى محاولة جذب دعم إقليمي أكبر على قاعدة أن الجيش هو الضامن الوحيد لوحدة الدولة. غير أن نجاح هذه الاستراتيجية سيعتمد على قدرته في تحقيق تقدم ميداني أو سياسي ملموس يمنع الدعم السريع من فرض شروطه على طاولة المفاوضات.

في المحصلة، يشكل بيان مجلس الأمن، مقرونًا بالتحرك الأمريكي الأخير، إطارًا سياسيًا جديدًا لفتح باب التفاوض في السودان، لكن بين الضوء الأخضر على الورق وواقع الميدان، تظل هناك فجوة واسعة لا يمكن ردمها إلا بإرادة سياسية محلية وضغط دولي منظم يحوّل الكلمات إلى أفعال.

وبحسب المعطيات الحالية، فإن أقرب فرصة لبدء محادثات جدية قد تكون بين نهاية العام الجاري وبداية العام المقبل، شريطة أن يترافق ذلك مع ضغوط أمريكية وأوروبية متزايدة، وتوافق إقليمي على استضافة المفاوضات، أما دون ذلك فسيظل الملف السوداني رهين بيانات الدعم اللفظي دون تقدم عملي.

نعود

تاريخ الحروب في السودان(2-3)

مناضل الحلاوي

ملخص

يتناول المقال جذور اندلاع الحرب الأهلية الأولى في السودان، مركزًا على التهميش السياسي والاقتصادي الذي عانى منه الجنوبيون بعد الاستقلال، والأحداث المباشرة التي فجّرت التمرد في توريت عام 1955.

ويشير إلى أن الجنوبيون شعروا بالتهميش السياسي والاقتصادي بعد الاستقلال، إذ هيمن الشماليون على الوظائف العليا في الدولة والخدمة المدنية، وزادت المخاوف من استيلاء الشمال على أراضي الجنوب وثرواته الطبيعية.

ويوضح أن الشرارة جاءت في أغسطس 1955 حين تمردت كتائب من قوة دفاع السودان في توريت وجوبا وياي ومريدي، رفضًا لأوامر نقلهم للشمال خوفًا من التصفية وسوء المعاملة، وسط شائعات وتحريض غذّت الانفجار.

و يخلص إلى أن هذه التوترات مهّدت لانطلاق الحرب الأهلية الأولى، التي عُرف مقاتلوها باسم «أنانيا ون»، أي «سم الأفعى»، رمزًا للقوة والفتك، وكانت الحركة أبرز تعبير مسلح عن رفض التهميش في الجنوب.

3. التهميش السياسي والاقتصادي:

التمثيل غير المتوازن: شعر الجنوبيون بأنهم ممثلين تمثيلاً ناقصًا في الحكومة الانتقالية وفي الخدمة المدنية، حيث شغل الشماليون معظم المناصب العليا.

التخوف من الاستيلاء على الأراضي والموارد: كانت هناك مخاوف من أن الشماليين سيسيطرون على أراضي الجنوب وموارده، خاصة مع اكتشاف الثروات الطبيعية في الجنوب.

نقل السلطة من الجنوبيين إلى الشماليين: قبل الاستقلال مباشرة، تم نقل عدد كبير من الموظفين الإداريين والضباط الجنوبيين من وظائفهم واستبدالهم بشماليين، مما زاد من حالة عدم الثقة والاستياء في الجنوب.

4. الأحداث المباشرة والشرارة:

محاكمة عضو جنوبي بالبرلمان: يُذكر أن أحد الأسباب المباشرة للتمرد كان محاكمة عضو جنوبي في الجمعية الوطنية السودانية، وادعاءات بوجود مذكرة اعتقال مزورة حثت الإداريين الشماليين في الجنوب على قمع الجنوبيين.

الأوامر العسكرية: جاءت الشرارة المباشرة في 18 أغسطس 1955 عندما تمردت كتائب تابعة لقوة دفاع السودان (Equatorial Corps) في توريت، ثم في جوبا وياي ومريدي، بعد تلقيهم أوامر بالانتقال إلى شمال السودان. رفض هؤلاء الجنود الجنوبيون الأوامر خوفًا من سوء المعاملة أو التصفية بعد وصولهم إلى الشمال.

انتشار الشائعات والتحريض: انتشرت شائعات حول سوء نية الشماليين تجاه الجنوبيين، وأنهم يخططون للتخلص من الجنود الجنوبيين. ساهمت هذه الشائعات والتحريض في إشعال التمرد.

تجمعت هذه العوامل التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى التوترات اللحظية والأحداث المباشرة، لتشكل بيئة مهيأة لاندلاع العنف، وكانت أحداث توريت هي اللحظة التي تحولت فيها هذه التوترات الكامنة إلى صراع مسلح مفتوح، ممهدة بذلك الطريق لعقود طويلة من الحرب الأهلية في السودان.

من هم مؤسسي انانيا ون وما هي أبرز محطات الانانيا ون

«أنانيا ون» (Anyanya One) هي حركة تمرد جنوب سودانية، وهي الاسم الذي أُطلق على المقاتلين الجنوبيين خلال الحرب الأهلية السودانية الأولى (1955-1972). كلمة «أنانيا» تعني «سم الأفعى» بلغة المادي، وهي كناية عن القوة والقدرة على الفتك .

ونواصل إن كان في العمر بقية

خلف كواليس القمة التاريخية بين ترامب وبوتين

ملخص

عقد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ونظيره الروسي فلاديمير بوتين قمة في ولاية ألاسكا، وسط أجواء لافتة شملت ترتيبات بروتوكولية مشددة وحضورًا إعلاميًا واسعًا.

الاجتماع الذي كان مقررًا أن يكون ثنائيًا تحول إلى لقاء ثلاثي بمشاركة مسؤولين أمريكيين، فيما اقتصر المؤتمر الصحفي المشترك على 12 دقيقة فقط تحدث خلالها بوتين مطولًا، بينما اكتفى ترامب بتصريحات موجزة.

بوتين صرّح خلال القمة أن الحرب في أوكرانيا لم تكن لتندلع لو كان ترامب في السلطة عام 2022، ما أثار جدلاً واسعًا، بينما امتنع ترامب عن تقديم تفاصيل إضافية أو الرد على أسئلة الصحفيين.

في طريق العودة، أجرى ترامب اتصالات بالرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي وعدد من القادة الأوروبيين، في حين دعا بوتين إلى عقد القمة المقبلة في موسكو.

قاعدة إلمندورف ريتشاردسون المشتركة، ألاسكا
بقلم : بريت ساموليز

عندما انفتح باب الغرفة الصغيرة التي كان يعقد فيها الرئيس ترامب والرئيس الروسي فلاديمير بوتين اجتماعًا تاريخيًا، لم أستطع التقاط أنفاسي. كنت قد ركضت للتو من شاحنة صغيرة تبعد حوالي 100 ياردة إلى المبنى الذي كان من المقرر أن يعقد فيه ترامب وبوتين محادثات عالية المستوى بشأن الحرب في أوكرانيا.

حثّنا موظفو البيت الأبيض على دخول الغرفة بسرعة لأن ترامب وبوتين كانا بداخلها بالفعل. في الواقع، كان الجوّ جنونيًا، إذ تنافست الصحافة الأمريكية والروسية على التقاط الصور، وطرحت أسئلةً صاخبةً لم تُجب عليها.

وقال ترامب «شكرًا جزيلًا للجميع»، مشيرًا إلى أنه مستعد لمغادرة القاعة.

سافرتُ على متن طائرة الرئاسة ضمن مجموعة الصحفيين، المعروفة باسم «مجموعة الصحفيين المتجولين»، الذين يوثّقون تحركات الرئيس لمن لا يستطيعون مرافقته في مثل هذه الرحلات. بدأ اليوم حوالي الساعة السادسة صباح الجمعة وانتهى بعد الثالثة فجر السبت، حيث قام الرئيس برحلة ليوم واحد إلى ولاية ألاسكا الحدودية.

شهدتُ التحية المُرتّبة بعناية بين الزعيمين. كنتُ حاضرًا في القاعة خلال اللحظات الافتتاحية المحمومة لقمتهما، وشاهدتُ الصحفيين وهم يُصابون بالذهول لرؤية ترمب وبوتين يغادران المنصة دون أن يُجيبا عن سؤال واحد فيما وُصف بأنه مؤتمر صحفي مشترك.

كانت الرحلة بأكملها متقلبة الوتيرة، وهو أمر شائع عند السفر. فترات الانتظار الطويلة لإعلان رئاسي تتخللها تطورات متسارعة تُجبر الصحفيين على الاستعداد لأي طارئ.

لقد سافرتُ مع ترامب عدة مرات من قبل، لكن لم تكن أيٌّ من هذه الرحلات بأهمية قمة يوم الجمعة في ألاسكا. لقد كشفتْ معاينةُ اللقاء مع بوتين عن كثب، وعززتْ، بعضَ سماتِ ترامب كقائد.

إن ترامب في جوهره رجل استعراضي، وقد ظهر ذلك جليًا خلال القمة التي عقدت يوم الجمعة.

عند مغادرة طائرة الرئاسة في أنكوريج، شاهدتُ المسؤولين يفرشون سجادة حمراء، حتى وصلت إلى حيث سينزل بوتين من طائرته. ورأيتُ الموظفين يضعون اللمسات الأخيرة على أحرف «ألاسكا 2025» التي ستُشكّل مقدمةً لصورةٍ أولى لترامب وبوتين.

وبدأت أذناي تطنّان عندما سمعت هدير قاذفة بي2- وطائرات عسكرية أخرى تحلق فوقنا، بينما كان ترامب وبوتين يصعدان على منصة مرتفعة، كجزء من تخطيط متقن من البيت الأبيض يهدف إلى خلق أقصى قدر من التأثير الدرامي.

إن مجرد استضافة بوتين على الأراضي الأميركية كان بمثابة لحظة مخصصة للعرض على شاشات التلفزيون.

كانت التغطية الإعلامية للحدث مثيرة للغاية، وأشار النقاد إلى أن وجود الحدث كان بمثابة انتصار لبوتين، وأعرب الزعماء الأوروبيون عن أملهم في أن يتمكن ترامب من تحقيق تقدم في إنهاء القتال الذي بدأ في عام 2022 عندما غزت روسيا أوكرانيا.

كان من اللافت مشاهدة بوتين وهو يواجه أسئلة من الصحفيين الأمريكيين حول ما إذا كان سيتوقف عن قتل المدنيين. كان رد فعله هز كتفيه.

وكانت هناك مؤشرات على الأرض تشير إلى أن اجتماع يوم الجمعة لم يَسِر كما هو مخطط له بالكامل.

استقل ترامب وبوتين سيارة الليموزين الرئاسية معًا في رحلة قصيرة من مدرج المطار إلى موقع الاجتماع. وأكد لي مسؤول أمريكي عدم وجود مترجم أو أي موظف آخر خلال هذه الرحلة القصيرة، وقد أظهرت صور ومقاطع فيديو بوتين وهو يضحك في المقعد الخلفي.

تحول اجتماع مخطط بين ترامب وبوتين إلى اجتماع ثلاثي، حيث انضم وزير الخارجية ماركو روبيو والمبعوث الخاص ستيف ويتكوف إلى ترامب في مناقشة استمرت لنحو ثلاث ساعات .

أثناء ذلك، اجتمع المراسلون الأمريكيون والروس في خيمة إعلامية واحدة، يفصل بينهم حاجز من الحبال لإبقاء الجانبين منفصلين تقريبًا. إلا إذا كانوا بحاجة إلى حمام، فعندئذٍ استخدم جميع المراسلين صفًا من المراحيض المتنقلة التي نُصبت في الخارج.

لم يتحقق يعقد اجتماع ثنائي موسع مع وفد رسمي أوسع. بل اقتدنا على عجل إلى قاعة مؤتمر صحفي مشترك كان مخططًا له بعد القمة مباشرةً، قبل الموعد المحدد.

وتبين أن المؤتمر الصحفي كان عبارة عن ظهور لمدة 12 دقيقة للزعيمين حيث أدلى كل منهما بتصريحات: أولاً بوتين، ثم ترامب، وهي مناورة غير عادية بالنظر إلى أن الولايات المتحدة كانت الدولة المضيفة.

استغل بوتين وقتًا طويلًا في الحديث عن التاريخ الروسي، ثم أثنى على ترامب بتعليقاتٍ حول أنه ما كان ليغزو أوكرانيا لو كان ترامب في السلطة عام 2022، وليس الرئيس السابق بايدن. ولم يُبدِ أي تفسير لسبب اعتقاده ذلك. ولم يُجب ترامب على أسئلةٍ لاحقةٍ حول سبب موافقة بوتين له على هذه الفكرة في مقابلةٍ مع شون هانيتي من قناة فوكس نيوز بُثّت بعد المؤتمر الصحفي.

ولم يتحدث ترامب سوى ثلاث دقائق، ولم يقدم سوى القليل من التفاصيل حول ما إذا كان قد تم الاتفاق على أي شيء في قمة الجمعة.

أثارت النهاية المفاجئة للمؤتمر الصحفي تساؤلاتٍ لدى العديد من المراسلين حول ما إذا كان ترامب يشعر بالإحباط من القمة. ولم تُضف مقابلة هانيتي قبل مغادرة ألاسكا سوى المزيد من التساؤلات.

في طريقه إلى ألاسكا، صعد ترامب إلى مؤخرة الطائرة للتحدث إلى الصحفيين بعد حوالي عشرين دقيقة من إقلاعها في رحلة استغرقت سبع ساعات من قاعدة أندروز المشتركة في ماريلاند. وأجاب على أسئلة قبل قمته مع بوتين حول ما كان يتوقعه.

لكن يبدو أن ترامب، كثير الكلام عادةً، لم يعد مهتمًا بتلقي الأسئلة بمجرد وصوله إلى ألاسكا. لم يُجب على أسئلة أحد المراسلين وآخرين خلال جلسات التصوير المختلفة مع بوتين، ولم يُجب على أي أسئلة في ما وُصف بأنه مؤتمر صحفي مشترك مع الزعيم الروسي.

ولم يتحدث الرئيس إلى مجموعة المسافرين خلال رحلة العودة إلى واشنطن العاصمة التي استغرقت نحو ست ساعات، على الرغم من أننا علمنا أنه تحدث مع الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي وحلفائه الأوروبيين.

وتفتح هذه المكالمات الطريق لاجتماع يوم الاثنين في واشنطن مع زيلينسكي، وربما لاجتماع ثلاثي مستقبلي يضم ترامب وزيلينسكي وبوتين.

أما فيما يتعلق بالمكان الذي سيعقد فيه هذا الاجتماع الذي سيحضره الصحفيون المسافرين، فقد اقترح الرئيس أن رحلة أخرى إلى ألاسكا قد تكون خيارًا.

وفي يوم الجمعة، كانت لدى بوتين فكرة أخرى.

قال بوتين باللغة الإنجليزية في ختام مؤتمره الصحفي مع ترامب: «المرة القادمة في موسكو».

المصدر: صحيفة The Hill الأمريكية

انهيار وشيك رغم مظاهر السيطرة

ندى أبو سن

ملخص

تؤكد الكاتبة أن تنظيم الإخوان المسلمين في السودان يمر بمرحلة انهيار غير مسبوقة بسبب الهزائم العسكرية والانقسامات الداخلية، مع فشل حكومة بورتسودان في إقناع الاتحاد الأفريقي بشرعيتها.

تقول إن كتائب الظل لجأت إلى السيطرة على المجتمع عبر الترهيب والجبايات واعتقال الناشطين، في محاولة لاختطاف دور لجان الخدمات الشعبية التي عانت الحرب وتحملت عبء إطعام ورعاية المواطنين.

تشير إلى أن الأزمة الإنسانية تفاقمت في الخرطوم مع انعدام الخدمات، انتشار الأمراض والأوبئة، انهيار الجنيه، وفرض جبايات حتى على دفن الجثث، بينما كشفت تقارير عن استخدام الجيش أسلحة كيميائية ضد الأحياء السكنية.

ترى الكاتبة أن التنظيم يواجه ضغوطًا دولية متزايدة، منها العقوبات الأمريكية والحصار الإماراتي، وسط تسريبات عن لقاءات سرية للبرهان وحميدتي مع مبعوثين أمريكيين، في وقت يزداد فيه تماسك المجتمع الدولي لإنهاء الحرب.

يمر تنظيم الإخوان المسلمين في السودان بأسوأ مرحلة منذ نشأته، حيث دخلت الحرب التي أشعلها عامها الثالث دون أن يبلغ أهدافه منها.

وقد وصل التنظيم إلى مرحلة من الانهيار والتمزق والصراعات والضعف لم يبلغها من قبل، وذلك نتيجة للخسائر المالية والبشرية الفادحة، والانقسامات والهزائم التي مني بها، وكان آخرها في أم صميمة، حيث هلك عدد كبير من مقاتلي مليشيا البراء التابعة للتنظيم والمليشيات التابعة للجيش على يد قوات الدعم السريع.

كما ازدادت الضغوط الدولية التي تحاصره مؤخرًا بعد أن فشلت حكومة بورتسودان في إقناع الاتحاد الأفريقي برفع تجميد عضوية السودان في الاتحاد القاري، رغم تشكيل حكومة كامل إدريس المعين من قبل البرهان، الذي عجز عن تعيين وزراء تكنوقراط، وجاء وزراء حكومته مزيجًا من وزراء فرضتهم الحركات المسلحة وجماعة حزب المؤتمر الوطني الإخواني.

تجتهد كتائب الظل التابعة للتنظيم في بسط سيطرتها منذ توقفها عن القتال والتغلغل في مفاصل الخدمة المدنية ولجان الأحياء والخدمات، إذ نشرت الذعر وتخويف المواطنين وفرضت الجبايات الباهظة التي أثقلت كاهل المواطنين، ونفذت اعتقالات واسعة ومحاكمات جائرة، وعملت على الترصد لشباب الثورة وكان بعضهم قد قاتل في صفوفها، واعتقلت ونكلت بالقائمين على لجان الخدمات والتكايا، الذين ظلوا طوال فترة الحرب يتحملون عبء الإشراف على التكايا وتقديم الخدمات الصحية وإطعام المواطنين في غياب تام للدور الحكومي، وتأتي ممارسات عصابات المتأسلمين هذه في محاولة لاختطاف الدور الذي لعبته هذه اللجان في خدمة المواطنين ونسبه إليها لفرض سيطرتها على المجتمع.

بعد الإنهاك الذي بلغ ذروته لمليشيات المتأسلمين في القتال لم تعد قادرة على مواصلة الحرب، حيث أعلنت على لسان قائد كتيبة البراء انخراطها في العمل المدني، وقد تزامن هذا الإعلان مع خطاب رئيس حزب المؤتمر اللا وطني المحلول، والمطلوب للمحكمة الجنائية الدولية بتهمة الإبادة الجماعية في دارفور أحمد هارون، في تصريحات لوكالة رويترز أكد فيه انتهاء العمليات القتالية، بينما كانت المعارك لا تزال تدور في كردفان ودارفور في محاولة للتظاهر بالنصر واكتمال أهداف الحركة من الحرب، التي سعت إلى فصل غرب السودان عبر خطاب الكراهية وعزل الإقليم عن بقية الولايات التي سيطرت عليها وبحرمانه من الخدمات.

وتوجه التنظيم لإقناع المواطنين بالعودة إلى الخرطوم في ظل هذه الأوضاع رغم فشله في توفير أبسط مقومات الحياة، حيث لا ماء ولا كهرباء، وغياب تام للأمن وارتفاع وتيرة العنف والجريمة في ظل انتشار السلاح.

كما تنتشر الأمراض والأوبئة مثل الكوليرا والملاريا وحمى الضنك التي تحصد الأرواح الآن في الخرطوم.

وتفرض السلطات في الخرطوم جبايات باهظة نظير الخدمات مما زاد الضغط على المواطنين وفاقم معاناتهم، إذ يرتفع معدل الفقر في السودان في كل يوم في ظل الفساد والنهب الممنهج لموارد السودانيين من الجهات المستفيدة من الحرب وغيرها من القطط السمان، وقد بدا ذلك واضحًا في انهيار الجنيه السوداني في مقابل العملات الأخرى.

في ظل هذه الأوضاع المزرية يتم دعوة السودانيين للعودة الطوعية، حيث ذكر مواطنون عادوا إلى الخرطوم أن الجثث المدفونة في وسط الأحياء وداخل المنازل لا تزال موجودة، وقد عاد عدد كبير من المواطنين ليجدوا بقايا الجثث داخل منازلهم، وقد فرضت عليهم السلطات جبايات باهظة نظير إخلاء الجثث ودفنها، كذلك لم تكمل السلطات عملية التخلص من مخلفات الحرب في معظم الأحياء التي تشكل خطرًا كبيرًا على المواطنين العائدين.

وكانت الولايات المتحدة قد فرضت في وقت سابق من هذا العام عقوبات على السودان بسبب استخدام الجيش السوداني للأسلحة الكيميائية، وكان مسؤول في الأمم المتحدة قد حذر من خطورة هذه الأسلحة على المواطنين وضرورة تحديد أماكن إطلاقها.

وكانت مصادر قد ذكرت أن الجيش أطلق الأسلحة الكيميائية على ثلاثة عشر حيًا بالعاصمة الخرطوم، وطالبت جهات سودانية عديدة حكومة الأمر الواقع باستدعاء جهات دولية متخصصة لمعرفة الأحياء التي تم إطلاق الأسلحة الكيميائية فيها.

في الوقت الذي تطالب فيه حكومة الأمر الواقع المواطنين بالعودة إلى الخرطوم تظل هي باقية في بورتسودان الأمر الذي أثار التساؤلات حول عدم عودتها.

وذكر شهود عيان أن شوارع الخرطوم بدت خالية من المارة مقارنة بعودة الحياة إلى بحري وأم درمان تدريجيًا.

وكانت الولايات المتحده قد أعلنت عن اتجاهها لتصنيف تنظيم الإخوان المسلمين العالمي كتنظيم إرهابي، ومن ضمن عضويته تنظيم الإخوان

المسلمين في السودان.

وفي تقديري أن ممارسة الترهيب على المواطنين تعكس حجم التوتر والخوف داخل التنظيم، الذي يحاول مسابقة تطورات الأحداث وازدياد الضغوط الدولية والداخلية عليه لإنهاء الحرب بسبب حالة الانهيار التام للدولة والأزمة الإنسانية التي بلغت حدًا غير مسبوق عالميًا.

لم يحصل الكيزان على ما أرادوا الوصول إليه من إشعالهم للحرب بالرغم من رفضهم إيقافها طوال العامين الماضيين في سبيل تحقيق أهدافهم متجاهلين معاناة الشعب السوداني وتشرده.

وكانت حكومة الإمارات العربية المتحدة قد فرضت مؤخرًا حصارًا لوجيستيًا بحريًا على حكومة بورسودان، ومنعت كل أشكال النقل التجاري، كما فرضت قبله حظرًا جويًا على بورتسودان. مما شكل ضغطًا قاسيًا على حكومة الأمر الواقع التي ارتبطت كل تعاملاتها التجارية مع دولة الإمارات.

وكانت صحافة المتأسلمين قد صدمت الأسبوع المنصرم بخبر نشره الصحفي الاستقصائي المخضرم الأستاذ شوقي عبد العظيم وسارعت إلى نفيه، عن تسريبات لاجتماع قائد الجيش عبد الفتاح البرهان مع المبعوث الأمريكي مسعد بولس في سويسرا.

كما ذكرت تسريبات أخرى أن بولس التقى كذلك بقائد الدعم السريع محمد حمدان دقلو مما فاقم من حجم التوتر داخل التنظيم، الذي يحاول التماسك وإظهار القوة في وقت يضيق عليه الخناق في الداخل ومن المجتمع الدولي، ويصر على فرض المزيد من السيطرة على البلاد بتصدير الكذب والشائعات المضللة عبر إعلامه المأفون الذي ظل يمارس هذا النهج طوال فترة الحرب، بينما هو ينهار فعليًا في كل يوم ويتخبط ما بين الصراع مع حلفائه على كراسي السلطة، وما بين صراعه مع الدعم السريع وحصار الضغوط الدولية التي تضيق الخناق على التنظيم بعد أن تأكدت من خطورته على السلم والأمن الدولي والمحلي.

وكانت القوى السياسية السودانية قد رحبت بتأكيد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عزم الولايات المتحدة على تسهيل إحلال السلام في السودان مما يبشر بقرب انتهاء الحرب.

لجان الاستنفار: الدولة الموازية التي تبتلع الحكم المحلي

محمد احمد شبه

ملخص

يتناول المقال إعلان الحكومة في الخرطوم تفويض لجان الاستنفار والمقاومة الشعبية لإدارة الأمن والخدمات داخل الأحياء، معتبرها أنها بذلك تمنح هذه اللجان صلاحيات واسعة تجعلها أشبه بـ«حكومة موازية»، وهو ما يعكس تحولًا عميقًا في بنية الحكم تحت وطأة الحرب.

يرى الكاتب أن هذه اللجان تقوم بمهام تمتد من حفظ الأمن وتوزيع الغذاء إلى إصدار شهادات الوفاة وتنظيم الأسواق، في صورة تذكّر بتجارب سلطوية تاريخية مثل منظمات هتلر وموسوليني، حيث أنشئت هياكل موازية تُظهر الطابع الخدمي لكنها في جوهرها أدوات للسيطرة.

يشير إلى الخطوة أحدثت ازدواجية في مراكز القرار، إذ بقيت مؤسسات الدولة الرسمية قائمة شكليًا لكنها ضعفت أمام نفوذ اللجان التعبوية ذات الطابع العسكري، ما جعل المواطن عالقًا بين مؤسسات مدنية شكلية وسلطة فعلية بلا تفويض قانوني.

يخلص الكاتب إلى أن النتيجة هي عسكرة متزايدة للحياة اليومية وذوبان الحكم المدني في الأجهزة الموازية، مع خطر ترسخ هذه اللجان كقوة مستقلة تتفوق على مؤسسات الدولة، الأمر الذي يهدد بتحويل المجتمع إلى معسكر مفتوح يصعب العودة منه إلى مسار مدني ديمقراطي.

في الخرطوم، حيث تتآكل مؤسسات الدولة تحت وطأة الحرب والدمار، اتخذت الحكومة خطوة أثارت الكثير من التساؤلات حين أعلنت تفويض لجان الاستنفار والمقاومة الشعبية لتولي مهام الأمن والخدمات داخل الأحياء، واعتبارها "حكومة مصغرة" موازية للسلطة الرسمية. قد يبدو القرار مجرد إجراء تنظيمي في زمن استثنائي، لكنه في جوهره يعكس تحوّلاً عميقاً في بنية الحكم، بل ويفتح الباب أمام مقارنة مباشرة مع تجارب سلطوية عرفها التاريخ الحديث في أشد فصوله قتامة.

ففي تفاصيل القرار، تُمنح هذه اللجان صلاحيات واسعة: من حفظ الأمن وبسط هيبة الدولة، إلى الإشراف على التوزيع الغذائي عبر التكايا، بل وإصدار شهادات الوفاة وتنظيم الأسواق وصيانة المدارس. أي أنها تتحول عملياً إلى جهاز بديل لمؤسسات الحكم المحلي، لكنها مشبعة بروح عسكرية – أمنية واضحة. هذه الصورة ليست جديدة على التاريخ؛ فهي تذكّر بما فعله هتلر حين أسس منظمات مثل "شبيبة هتلر" لتكون أداة للتعبئة والانضباط، أو بما فعله موسوليني حين جعل اللجان الفاشية فوق مؤسسات الدولة التقليدية. في كلتا التجربتين، أُنشئت أجهزة موازية، تؤدي أدواراً خدمية واجتماعية لكنها في حقيقتها أدوات للسيطرة والولاء.

ما يجعل المشهد السوداني أكثر غرابة أن هذا كله يحدث بينما ما تزال هناك حكومة مركزية وولايات ومحليات ومجالس حكم محلي قائمة، على الأقل شكلياً. هذه البنية الإدارية كان يُفترض أن تدير شؤون المواطنين، لكنها أُزيحت جانباً لصالح هياكل مستحدثة ذات طابع تعبوي. النتيجة هي ازدواجية مراكز القرار، واضطراب في المرجعيات: المواطن لا يعرف هل يلجأ إلى موظف الدولة الرسمي أم إلى رئيس لجنة الاستنفار في الحي. الأخطر أن المؤسسات المدنية القائمة تُضعف من الداخل، إذ تتحول إلى هياكل شكلية بينما يمسك بزمام السلطة الفعلية أشخاص لم يأتوا عبر تفويض قانوني أو انتخاب شعبي بل عبر ولائهم الأمني والعسكري.

في الواقع، يمكن النظر إلى هذه الخطوة على أنها المسمار الأخير في نعش الحكم الشعبي المدني. فالحكم المحلي في السودان كان يفترض أن يكون مساحة للمشاركة الشعبية، أو على الأقل نافذة للتمثيل المجتمعي في إدارة الشأن اليومي. لكن ما يحدث الآن هو عكس ذلك تماماً: تذويب كامل للمدني في العسكري، وشرعنة لعسكرة الحياة اليومية، بحيث لم تعد هناك حدود فاصلة بين الأمن والخدمات ولا بين الحرب والمجتمع. كل شيء صار جزءاً من معركة الكرامة: من التعليم إلى توزيع الخبز. المشاركة الشعبية نفسها لم تعد قائمة على الانتخاب أو التداول، وإنما على التعبئة والاستنفار.

قد يرى البعض أن هذه التدابير اضطرارية فرضتها ظروف الخراب والحرب الدائرة، لكن التجارب التاريخية تقول شيئاً مختلفاً. كلما سمحت الدول لنفسها بخلق هياكل موازية ذات طابع أمني-ميليشياوي، كلما ضعفت مؤسساتها المدنية الرسمية وانكمشت، حتى بات من العسير إعادتها للحياة. هذا ما حدث في ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، وهذا ما فعله القذافي حين ابتدع لجانه الثورية في ليبيا. واليوم يبدو أن السودان يسير في الاتجاه ذاته، ولو بصيغة محلية تحمل اسم "لجان الاستنفار".

الخطر الحقيقي أن هذه اللجان قد تترسخ بمرور الوقت وتصبح قوة قائمة بذاتها، تفرض سطوتها في الأحياء وتتحول إلى سلطة فعلية تفوق سلطة المجالس المحلية والمحافظات. عندها لن يكون الأمر مجرد ازدواجية، بل انقسام كامل بين الدولة الرسمية والدولة الموازية. وما بينهما سيضيع المواطن الذي يبحث عن خدمة أو حق بسيط، فلا يجد سوى لجنة تعبئة تخاطبه بلسان الحرب لا بلسان الدولة المدنية.

إن ما يجري في الخرطوم اليوم لا يمكن قراءته باعتباره مجرد خطوة تنظيمية في ظرف استثنائي. هو في حقيقته علامة على انهيار مظاهر الحكم الشعبي غير العسكري، وانزلاق المجتمع أكثر نحو عسكرة شاملة، حيث لا يُترك للمدني سوى دور المتفرج أو المعبأ، بينما تتولى أجهزة موازية إعادة تشكيل الحياة اليومية بأكملها في صورة معسكر مفتوح. وإذا كان التاريخ يعلمنا شيئاً، فهو أن هذه التحولات لا تنتهي بسهولة، وأن العودة منها إلى مسار مدني ديمقراطي ستكون أكثر صعوبة كلما طال عمرها.

نائبة رئيس الهيئة القيادية لصمود:

حكومتان موازيتان تفتحان باب تفكيك السودان

هيام البشرى:

لا شرعية لحكومات ما بعد الانقلاب

حرب السودان تمضي من سيء إلى أسوأ، وسيناريوهات المستقبل قاتمة في ظل تشكيل حكومتين موازيتين في بورتسودان ونيالا، مع استمرار تدفق الأسلحة الثقيلة والخفيفة إلى طرفي الحرب ما أدى إلى تعقيد الأوضاع الأمنية والإنسانية.

وقالت هيام البشرى نائبة رئيس الهيئة القيادية للتحالف المدني الديمقراطي لقوى الثورة «صمود» في مقابلة مع «أفق جديد»، إن تشكيل حكومتين يمثل خطرًا حقيقيًا ويعقد سبل الحل السلمي التفاوضي، وأن اللجوء إلى الحل العسكري لن يفضي إلى سلام حقيقي.

وأكدت البشرى أن عدم الرغبة في العودة إلى طاولة التفاوض يفاقم الكارثة الإنسانية وتعمل على تزايد معدلات النزوح والتشرد والتجويع.

***ما هي السيناريوهات المتوقعة والمخاوف جراء تشكيل حكومتين موازيتين في السودان وأثر ذلك على وحدة السودان؟**

في البدء أؤكد على أنه لا شرعية لأي حكومة تم الإعلان عنها أو أسست في أي من مناطق السودان لاسيما حكومة الأمل وحكومة السلام، وذلك منذ انقلاب 25 أكتوبر 2021، أي الانقلاب على حكومة الثورة الشرعية، أما السيناريوهات المتوقعة من جراء حكومتين فهذا خطر حقيقي ويعقد سبل الحل السلمي التفاوضي لأن اللجوء إلى استخدام الحل العسكري لا يفضي إلى سلام حقيقي، وذاكرتنا التاريخية القريبة في حروبنا تنتهي باتفاقيات السلام، والخطر الأكبر أن تكوين هذه الحكومات يعمل على تفكيك وحدة السودان أرضًا وشعبًا.

وفي يوليو الماضي أعلنت قوات الدعم السريع، عن تشكيل حكومة موازية في السودان، في خطوة يرفضها الجيش، وحذرت الأمم المتحدة سابقًا من مخاطرها على وحدة السودان.

وسيرأس قائد قوات الدعم السريع السودانية محمد حمدان دقلو (حميدتي)، المجلس الرئاسي في الحكومة الموازية، فيما سيكون قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان – شمال عبد العزيز الحلو، نائبًا له في المجلس المكون من 15 عضوًا.

***بعد دخول حرب السودان عامها الثالث وتصاعد معدلات اللجوء والنزوح، هل من الممكن أن ينتهي النزاع بانتصار عسكري حاسم لأي من طرفي الحرب؟**

الحسم العسكري أو تصاعد الخطاب العسكري بين طرفي الصراع والتصريحات المتوالية، وعدم رغبتهم في العودة إلى طاولة الحوار، كلها سيناريوهات تعقد الكارثة الإنسانية، وتعمل على تزايد معدلات النزوح والتشرد والتجويع والتعرض المدنيين بصورة أبشع لمختلف الانتهاكات التي ترق إلى مستوى الإبادة الجماعية، لذلك الحل السلمي هو الحل الشامل.

***ما هي السبل لوقف إطلاق النار وصولًا إلى الحل السلمي وتحقيق التحول المدني الديمقراطي؟**

الوصول للحل السلمي وتحقيق التحول الديمقراطي يرتكز على عدة مرتكزات أهمها مناشدة المجتمع الإقليمي والدولي بالضغط على طرفي الصراع لفتح المسارات، ووصول المساعدات ووقف فوري لإطلاق النار، والمرتكز الثاني إطلاق عملية سلام شامل بثلاثة مسارات ترتكز على المسار الإنساني ويشمل إيصال المساعدات وحماية المدنيين، مسار وقف إطلاق النار ويشمل الاتفاق على وقف إطلاق النار والترتيبات الأمنية الدائمة، المسار السياسي ويشمل إطلاق حوار وطني يخاطب جذور الأزمة ويرسى سلامًا مستدامًا في البلاد، ويضم كافة الأطراف عدا المؤتمر الوطني وواجهاته الإسلامية.

***ما هو تقييمكم لتصاعد خطاب الكراهية والعنصرية، وتمدد أنشطة عناصر النظام البائد لنشر الإرهاب وتصفية الخصوم ومحاربة القوى المدنية؟**

ما يخص الحركة الإسلامية والمؤتمر الوطني قمنا في صمود بإطلاق نداء لكافة الشعب وكذلك إقليميًا ودوليًا، لاسيما القانونيين والدبلوماسيين، بتصنيف الحركة الإسلامية وواجهاتها منظومة إرهابية. تتضمن هذه المبادرة عدة أسباب وهي التي ظللنا نتخذها موقفًا في سرديتنا لرفض المؤتمر الوطني وواجهاته بالاستبعاد من أي عملية سياسية قادمة. ومن ملامح هذا النداء هو أن الحركة الإسلامية والمؤتمر الوطني منظومة مسقطة بواسطة الشعب عن طريق ثورة ديسمبر المجيدة، منظومة إبادة جماعية،

هيام البشرى: الحسم العسكري يقود إلى إبادة لا إلى سلام

منقلبة على الديمقراطية ومنظومة فاشية لا تخضع للسلام.

***القوى المدنية هل لديها أي خطة أو رؤية أو آلية للضغط على طرفي الحرب لاستئناف التفاوض مرة أخرى؟**

نرتكز على الحشد الجماهيري من أجل تكوين أكبر جبهة مدنية عريضة تضم كافة قوى الثورة وذلك بعدة صيغ تحقق هذا الهدف، وكذلك عن طريق الحوار السوداني سوداني الذي يفضي إلى عملية سياسية تضم كافة الأطراف عدا المؤتمر الوطني وواجهاته الإسلامية، ومناشدة المجتمع الإقليمي والدولي من أجل تسليط الضوء على الكارثة الإنسانية التي يتعرض لها السودانيون، والضغط على طرفي النزاع ومناشدتهم العاجلة بأن الحوار التفاوضي هو السبيل لحل الأزمة السودانية، وأن الحلول العسكرية لا تأتي بالسلام.

ترعى الرياض وواشنطن منذ 6 مايو 2023 محادثات بين الجيش و«الدعم السريع»، أسفرت في 11 من الشهر ذاته عن أول اتفاق في جدة السعودية بين الجانبين للالتزام بحماية المدنيين والخروج من الأعيان المدنية، وإعلان أكثر من هدنة وقعت خلالها خروقات وتبادل للاتهامات بين الطرفين، ما دفع الوسيطان تعليق المفاوضات.

***وفق مراقبون فإن الأطراف المتصارعة حصلت على أسلحة جديدة أثناء استمرار العمليات العسكرية، هل عجز المجتمع الدولي عن مراقبة تدفق الأسلحة ووصولها إلى السودان؟**

العمليات العسكرية ظلت مستمرة طيلة الفترة الماضية أي مع اقتراب إكمال عامها الثالث، كما استمر تدفق الأسلحة مستمرًا وهذا يرجع إلى التقاطعات الإقليمية والدولية ومصالحها المرتبطة بالسودان، لذلك نحن نناشد المجتمع الإقليمي والدولي بتجفيف منابع تمويل طرفي الصراع وحظر استيراد الأسلحة لطرفي الصراع، ونناشد كذلك بالوقوف مع السودانيين في أي عملية تدعم السلام والاستقرار في السودان.

وفي يونيو الماضي قال محققون في مجال حقوق الإنسان، إن القتال العنيف في السودان لا يزال يتصاعد كنتيجة مباشرة لاستمرار تدفق الأسلحة إلى البلاد، مما يعني أن الحرب لم تنتهِ بعد.

ومنذ أبريل/ نيسان 2023، يشهد السودان حربًا بين الجيش وقوات «الدعم السريع»، خلّفت أكثر من 20 ألف قتيل ونحو 15 مليون نازح ولاجئ، وفق الأمم المتحدة والسلطات المحلية، بينما قدر بحث لجامعات أمريكية عدد القتلى بنحو 130 ألفًا.

تغيرات في المشهد..

شاير الإثيوبية... من بلدة حدودية إلى مركز إقليمي لتهريب الذهب السوداني

ملخص

تحولت مدينة شاير الإثيوبية من بلدة حدودية صغيرة إلى مركز إقليمي لتهريب الذهب، حيث يُخلط الذهب المحلي بما يُهرّب من السودان وإريتريا والكونغو، ليصل في النهاية إلى البنك الوطني.

تشير الأرقام الرسمية إلى قفزة هائلة في صادرات الذهب، لكن معظمها جاء من التعدين الحرفي والمهرب، فيما فشلت الشركات الكبرى في تحقيق إنتاج يُذكر، ما يثير شكوكا حول مصدر الكميات المعلنة.

امتدت تجارة الذهب المهرب عبر الحدود، فصار وسيلة لتمويل السلاح في السودان ولإثراء ضباط الجيش الإريتري، بينما تحولت القرى الحدودية إلى أسواق جانبية تتقاطع مع شبكات تهريب البشر.

رغم الأرقام القياسية، يعاني القطاع من فوضى وغياب الشفافية، مع أضرار بيئية وانتشار الأوبئة ورشى تشوه السجلات الرسمية، ما دفع سلطات تيغراي إلى تشكيل لجنة لمراجعة القطاع amid تحذيرات من عواقب خطيرة مستقبلاً.

بقلم: أشنافي إنديل

لم تكن مدينة شاير الصغيرة في شمال إثيوبيا معروفة خارج حدود إقليم تيغراي، سوى كمركز محلي لتجارة الذهب. لكنها خلال العامين الماضيين تحولت إلى قلب شبكة إقليمية معقدة لتهريب المعدن النفيس، حيث يتقاطع الاقتصاد الموازي مع الأزمات السياسية، وتتشابك مصالح الجنرالات والتجار والمجتمعات الحدودية.

التحقيق الذي أجرته صحيفة «ذا ريبورتر» يكشف أن معظم الذهب الذي يصل إلى فرع البنك الوطني الإثيوبي في شاير ليس محلياً بالكامل، بل يُخلط فيه ما يستخرج من مناجم تيغراي بذهب يُهرّب من السودان وإريتريا، بل وحتى من أماكن أبعد مثل جمهورية الكونغو الديمقراطية. هذا الخليط يجد طريقه في النهاية إلى خزائن البنك المركزي، الذي يعد المشتري القانوني الوحيد للذهب في البلاد.

الأرقام الرسمية الصادرة عن وزارة المعادن الإثيوبية مثيرة للانتباه، إذ ارتفعت كمية الذهب المورد من تيغراي إلى نحو تسعة عشر طناً خلال العام المالي 2024/2025، مقارنة بأقل من نصف طن في العام السابق. وبلغ إجمالي ما تسلّمه البنك الوطني من مختلف الأقاليم حوالي تسعة وثلاثين طناً، وهو ما ساهم في تحقيق إثيوبيا رقماً قياسياً تجاوز ثلاثة مليارات وأربعمئة مليون دولار من صادرات الذهب، أي أكثر من تسعة أضعاف ما جرى تحصيله في العام السابق. الحكومة عزت هذا الارتفاع الكبير إلى تحرير سعر الصرف في يوليو/ تموز 2024 وزيادة هوامش الربح للموردين، غير أن العديد من الخبراء يؤكدون أن العامل الحاسم كان التدفق المفاجئ للذهب عبر شاير.

هذا النجاح الظاهري يخفي وراءه مفارقات صارخة. فالشركات الكبرى لم تتمكن من تحقيق إنجازات تذكر، حيث لم تسلّم شركة ميدروك سوى 2.7 طن، في حين لم يتجاوز إنتاج ثلاث شركات أخرى مجتمعة ستين كيلوغراماً. أما شركة إيزانا التابعة لصندوق إعادة تأهيل تيغراي فلم تقدم شيئاً على الإطلاق. في المقابل، جاء معظم الذهب من التعدين الحرفي الذي يمارسه آلاف المنقبين الصغار في تيغراي وغامبيلا وأوروميا وبنيشانغول-جوموز، بعيداً عن أعين الشركات الرسمية.

مصادر متعددة تؤكد أن مدينة شاير صارت نقطة جذب للذهب المهرب بفضل الأسعار المرتفعة التي يقدمها فرع البنك الوطني هناك. فكلما ارتفع السعر الرسمي، زادت الحوافز لتهريب الذهب منخفض الجودة عبر الحدود وخلطه بالذهب الأنقى المستخرج محلياً. وهكذا تتحول العملية إلى تجارة مربحة للموردين والوسطاء على حساب الدولة التي تفقد السيطرة على مواردها. أحد المتعاملين في هذه السوق يقول إن الذهب الأرخص القادم من السودان وإريتريا وغامبيلا يُخلط بالذهب الأغلى ثمناً في شاير، ثم يُورد إلى البنك الوطني بسعر أعلى بكثير، مشيراً إلى أن هذه الممارسة أصبحت روتينية ومفتوحة.

التجارة لا تقتصر على داخل إثيوبيا وحدها، بل تمتد إلى حدودها المضطربة. ففي السودان الذي

مزقته الحرب، صار الذهب وسيلة رئيسية لغسل الأموال وتمويل صفقات السلاح، بينما يفضّل بعض ضباط الجيش الإريتري تهريبه عبر تيغراي بدلاً من تسليمه لحكومتهم في أسمرة. هؤلاء الضباط يحصلون في المقابل على سلع أساسية مثل القهوة والتيف والإسمنت والألواح الشمسية. القرى الحدودية الصغيرة مثل آدي كيلتي وإيغون وراما تحولت إلى أسواق جانبية لهذه التجارة، التي تتقاطع مع مسارات أخرى مثل الإتجار بالبشر بين إريتريا وإثيوبيا.

ورغم هذه الطفرة في الأرقام، فإن قطاع التعدين في تيغراي يعاني أزمات متداخلة. انتشار وباء الكوليرا في مناطق التعدين أدى إلى تعليق الأنشطة في بعض المواقع، كما أن عمليات التنقيب العشوائي تسببت في أضرار بيئية واسعة. يضاف إلى ذلك غياب الشفافية في سجلات الإنتاج والتوريد، الأمر الذي جعل المسؤولين المحليين أنفسهم يعترفون بعدم اليقين بشأن مصدر الكميات الضخمة التي دخلت عبر فرع شاير. بيريكتي جيبريميدين، رئيس مكتب التعدين في تيغراي، قال صراحة: «لسنا متأكدين من أن كل هذا الذهب منتج محلياً، وعلينا التحقيق في الأمر».

الأزمة لا تقتصر على ما يحدث في الميدان، بل تشمل أيضاً طريقة احتساب الأرقام الرسمية. فالبنك الوطني الإثيوبي يقدّر حجم الذهب المورد بناءً على الأموال التي ينفقها على الشراء، بما في ذلك هوامش الأرباح التي يمنحها للموردين. هذا يعني أن البيانات قد تعكس حجم الأموال المتداولة أكثر مما تعكس الذهب الفعلي الذي يدخل إلى الخزائن.

مراقبون يؤكدون أن المسؤولين يتلقون رشى ويصادقون على أرقام مبالغ فيها، تُستخدم لاحقاً من قبل الحكومة لتلميع صورة الاقتصاد الكلي وإظهار نجاحات إصلاحاتها المالية.

وفي مواجهة هذه الفوضى، أعلنت الإدارة المؤقتة لتيغراي بقيادة الفريق أول تاديسي ويريدي عن تشكيل لجنة لتقييم قطاع التعدين وإعادة هيكلة مكتب التعدين الإقليمي، وكذلك شركة إيزانا. غير أن هذه الخطوات ما تزال في بدايتها، فيما تستمر حركة التهريب بوتيرة متسارعة وبأساليب أكثر تعقيداً.

قصة شاير تكشف أن الذهب في إثيوبيا لم يعد مجرد معدن نفيس يُستخرج من باطن الأرض، بل أصبح ورقة سياسية واقتصادية تتجاوز حدود الدولة. ففي إريتريا يستخدم بعض الجنرالات هذه التجارة لتمويل نشاطاتهم بعيداً عن أعين الرئيس أسياس أفورقي. وفي السودان أصبح الذهب مرادفاً لاقتصاد الحرب. أما في إثيوبيا نفسها، فقد صار أداة لرفع أرقام الصادرات على الورق وجذب المستثمرين، حتى لو كان ذلك على حساب البيئة والمجتمعات المحلية.

بيريكتي، الذي تولى قيادة مكتب التعدين بعد تغييرات واسعة في الجهاز الإداري، اختتم تصريحاته بتحذير صريح قائلاً: «لا يمكن اعتبار ما حدث في شاير نجاحاً خالصاً. نعم زودنا البنك الوطني بكميات هائلة، لكن هناك مشاكل عميقة. إذا استمر التعدين بهذا الشكل الفوضوي وغير المستدام، فسوف ندفع جميعاً ثمن تعقيدات خطيرة في المستقبل».

حكاية من بيئتي
غنـــم السيـدة

محمد احمد الفيلابي

ملخص

في بيتٍ صغير، كانت الجدة تصب جام غضبها على أحفاد أختها، فتوبّخهم بلا رحمة. لم يكن السبب ضجيج الأطفال فقط، بل مرارة قديمة تركها حرمانها من الأمومة، لتتحول قسوتها إلى وسيلة تعبير عن جرحٍ لم يندمل.

ومع هذه الخلفية الشخصية، يطل سؤال أوسع: كيف أثّرت الهجرة والظروف القاسية على الأسر السودانية؟ فقد غاب الأبناء بحثًا عن حياة أفضل، وتفرقت العائلات، فيما خسر الوطن عقولًا وسواعد كان يحتاجها. وهكذا امتزج الخاص بالعام، والألم الفردي بالمأساة الجماعية.

ثم تحضر حكاية غنم السيدة، التي نالت رعاية خاصة ودلالًا مفرطًا، حتى بدت وكأنها في نعيم دائم. غير أن الوباء المعروف بـ«أب نيني» اجتاح القطيع، فنفقت جميع الأغنام رغم العناية الزائدة. على النقيض، تمكن موسى بخبرته الشعبية من إنقاذ أغنام القرية.

ومن هذه الواقعة الشعبية خرج المثل السوداني: «تلحق غنم السيدة»، ليصبح رمزًا لمعنى عميق: أن الإفراط في الحماية قد يقود إلى نتائج عكسية، وأن بعض الأقدار لا تنفع معها كثرة العناية، بل تتطلب حكمة وتجربة وترك مساحة للقدر.

. بي التّلَحِقْكُم غنم السيدة.

كانت تصب جام غضبها على أحفاد شقيقتها، لكن الجدة لم تحرك ساكناً، فهذا النهر من الغضب الكاسح قد يفيض عليها فيغرق صبرها، ويخدش صيامها، ويكسر صمتها حيال كل ما يبدر عن شقيقتها الأصغر، خاصة في مثل هذه الأيام من منتصف الشهر القمري. فقد لحظت منذ زمن طويل أن أيام صيامها الشهرية هذه تقابل بنوبة توتر عالية لدى من أغرقت عمرها في مشاعر سلبية، غضباً من جسدها الذي ضن عليها بحلم الأمومة، أو من الآخرين الذين رزقوا بالأبناء والأحفاد، يحومون حولهم مشيعين البهجة والسرور، فيما يكلل العبوس وجهها، وإن حاولت إخفاء الأمر. يربط البعض ظاهرة المد والجزر بزيادة الغضب لدى البعض، على زعم أن جسد الإنسان الذي يتكون من 75 إلى 78% من الماء، يتأثر بالمد والجزر في البحار. حيث تحدث جاذبية القمر والشمس على الأرض ارتفاعاً وانخفاضاً في مستوى البحر، وكذا في أجساد البشر.

ويقول أهل هذا الزعم إن المد يؤثر في جسد الإنسان، فتظهر علامات الضيق والتوتر والغضب. بل يذهب البعض أعمق حين يقولون إن صيام الأيام البيض من الشهر القمري تقلّل من نتائج هيجان الروح. ورغم أنه لا يوجد دليل علمي قاطع على تأثير الظاهرة على جسم الإنسان أو سلوكه، إلا أن هناك بعض النظريات غير المثبتة علمياً تشير إلى أن الدورة القمرية قد تؤثر على مزاج الإنسان وعواطفه.

قد لا يكون الأمر متعلقاً بالأحفاد العائدين من المهجر لقضاء أيام مع جدتهم، يجعلون للبيت طعماً آخر من الصخب وشقاوة الطفولة التي تخلف المشاعر المتباينة لدى الجدتين. تتفقان في محبة الأطفال كلٍّ بحسب طاقة التحمل لديها، ذلك بمثل اتفاقهما أن في هجرة الابن الطبيب خسارة لهما، مثلما هي للبلد بأكمله، بيد أنهما توقنان مثل الكثيرين أن الهجرة أضحت خياراً أوحد، وفرضاً على كل من يضيق به وطنه، أو تقوده تطلعاته إلى حياة لن يجدها في بلده.

. يفوتوا يخلونا.. وإن جابوا عيالهم يزعجونا..

قالتها، وهي لا تدري إن كانت تعتذر عن صب اللعنات على هذه البراءة، أم هو تقرير حال.

وفي مرة عبرت أن خروج هؤلاء مهّد الطريق لأن يسود البعض ممن لا يستحقون أن يسودوا، وفي ترك الديار فرصة لهم ليعوسوا فيها فساداً وإفساداً.

قبل تسع سنوات من اندلاع الحرب، نشرت (البي بي سي عربية) تقريراً جاء فيه أن «عدد المثقفين ثقافة عالية ومتخصصة، الذين هاجروا منذ العام 2014 حوالي 50 ألف، معظمهم من الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات». ويرتفع العدد إلى 374 بالعودة إلى العام 2009، وإضافة رجال الصحافة والإعلام، لأسباب انعدام الحريات». ويظل التساؤل قائماً وإن لم يرد على لسان الجدة.

من المسؤول عن نزوح آلاف الكوادر والمهنيين عن بلادهم؟ هل هي سياسات الحكومة؟ أم الأوضاع الاقتصادية المتردية؟ أم العروض المغرية من الدولة المستقبلة لهم؟ وهل تصدق الجدة ومن هم في

عمرها أن السودانيين يشكلون أكبر جالية افريقية في إسرائيل؟ نعم.. إسرائيل التي ما أن يأتي ذكرها في نشرات الأخبار حتى تقصفها الجدة بلعنتها الأثيرة.

. بي الثّلَحِقْكم غنم السيدة.

وغنم السيدة في الحكاية المتداولة كان مصيرهن مصير (أمّات طه) في صباح صيفي حار. فبعد أن أغدقت هذه الوحيدة على أغنامها الكثير من الدلال والحماية ما يفتقده بعض بني البشر في تلك القرية. فقد منحت أغنامها ما كانت ستمنحه أبناء لم يأتوا، شأنها شأن هذه الجدة الغاضبة، لكنها نفقت.

كانت السيدة بت الطيب تحرص أن تعلف أغنامها أفضل أنواع العلف، وتخرج بها في الصباح الباكر بقصد السرحة، ثم تعود قبل أن يخرج الناس إلى أشغالهم، فهي تخاف أن يراهم أحدهم أو احداهن فيصيبهم سهم الحسد، خاصة شقيقها موسى ود الطيب الذي ورث عن أبيه الاهتمام بالدواب وخاصة الأغنام، فأصبح يجيد تطبيبها وعملية (جز) قص أو إزالة الصوف عنها. تلك العملية الموسمية التي تساعد على تهوية جلد الحيوان، مما يقلل من خطر الإصابة بالإجهاد الحراري، ويقي من ضربات الشمس، خاصةً في فصل الصيف، ويمنع عشعشة الفطريات والحشرات الضارة جراء التعرض لرطوبة أرض الزرائب المليئة بمخلفاتها. يقوم بالأمر لكل أغنام القرية، وفي الأسواق، إلا أنه لا يجرؤ على الاقتراب من غنم أخته السيدة التي تقوم بالعملية بنفسها. فقد درجت على غسل أغنامها قبل الجز بأيام كما هي العادة، تشحذ سكينها، وتجلس لتقوم بالعملية بعناية، ثم تجمع الصوف وتقوم بغزله وتصنيعه بنفسها. إذ كانت تقضي أوقات القيلولة في فتل ونسج الصوف، ولا تبيع منتجاتها من حبال (المَريد) وتلك المخالي الصوفية المزركشة إلا للذين يقدِّرون صناعتها، ويثنون على براعتها. إذ يتباهى الواحد منهم بأن على دابته مخلاية السيدة، أو فروة السيدة، كما كانت تشكل بالحبال كل مستلزمات وإكسسوارات الركوبة، إن كانت حماراً أو حصاناً أو بعيراً.

وكذا هو الأمر مع جلود أغنامها، فقد كانت تبيع أغنام الذبيح لجزار محدّد يعرف أن ما يدفعه أكثر مما يدفعه للأغنام الأخرى، لكنه سيحصل على لحم جيد ووافر. لكنها كانت تشترط عليه أن يأتيها بالجلد بعد السلخ دون أي تشويه، ذلك في مقابل معلوم، فتقوم بعملية دباغته وتصنيعه مثلما تعلمت من أبيهما.

السيدة هبطت من عرش أنفتها ذلك بشكل مفاجئ، واعتزلت الناس أكثر مما كان الأمر في السابق. وخيّم على بيتها الصمت حتى رحلت لاحقة بأغنامها التي وجدت في ذلك اليوم أن نصفها قد مات، والنصف الثاني يئن، وتغطيها السوائل المخاطية، ورغم جهدها على مدى خمسة أيام على استدراك الأمر. كانت تردد في سرها أن ليتها سمحت لشقيقها أن يدخل عليها ذلك اليوم. إذ ها هي أغنامها دون سائر أغنام القرية قد هلكت.

تطوع موسى ود الطيب كعادته حين سمع بأن وباء (أب نيني) قد وصل إلى القرى شمال قريته، ذهب إلى هناك، وبقر بطون عدد من الجيف المصابة، واقتلع أكبادها، ووضعها في جرابه الجلدي وعاد ليقوم بـ(قروحة) (1) أغنام القرية. فقد كان يُحدث جروحاً صغيرة في أجساد الأغنام، ثم يقوم بدعك الجرح بقطعة الكبد المريض. وهكذا مكّن أغنام القرية من النجاة من الوباء، إلا أغنام شقيقته التي أصيبت وماتت كلها. ليسري المثل بأن العناية الأكثر من المعتاد قد تأتي، بنقيضها. ولأن الأغنام ماتت كلها في يوم وليلة، أصبح يقال (تلحق غنم السيد)، مثلما يقولون (لحق أمات طه).

(أب نيني) لعله طاعون المجترات الصغيرة، وهو التهاب القنوات التنفسية. أكتشف في ساحل العاج عام 1942، وسمى (كاتا)، وهو مرض فيروسي يصيب الأغنام بنوعيها (الماعز والضأن)، وتدوم فترة حضانته من ثلاثة إلى خمسة أيام، حيث تبدأ إفرازات مخاطية قيحية، تؤدي إلى ضيق التنفس، فالموت. وينتقل الفيروس عبر الهواء والماء، وكذا عن طريق الماء والملامسة، والأواني الملوثة.

من أين جاء موسى ود الطيب بتلك المعرفة؟ من قال له أن يسبق وصول الوباء إلى قريتهم؟

يمكن للمعارف التقليدية التي تأتي من العلاقات الوثيقة التي تربط المجتمعات المحلية ببيئاتها وخبراتها المتراكمة، أن توفر إستراتيجيات قد تكون منسية، متروكة، ولكن لها فعالية كبيرة. إذ تتسم المعارف والممارسات التقليدية التي تطورت من خلال التجربة والخطأ والصواب بمرونة عالية، فقد مكنت هذه التقنيات من إدارة المخاطر باستخدام مواد محلية. (2)

وإلى اللقاء في حكاية أخري من بيئتي.

الهوامش

(1) القروحة في اللهجة السودانية تشير إلى عملية التطعيم عبر وخز الجلد وتسكين جرعة مخففة من المرض.

(2) المصدر: موقع المركز الدولي لدراسة وصون الممتلكات الثقافية – 9 أغسطس 2024

الروائي صنع الله إبراهيم

رواية (تلك الرائحة) مؤسِّسة في أدب السجون

ملخص

رحل الروائي المصري صنع الله إبراهيم (1937–2025) بعد أن ترك بصمة بارزة في السرد العربي، إذ جمع بين التوثيق التاريخي والنقد السياسي والاجتماعي، وارتبط اسمه بروايات مؤسِّسة مثل (تلك الرائحة) التي عكست تجربة السجن. كان حضوره الأدبي مقترنًا بموقف سياسي منحاز للجماهير وقضايا الحرية والعدالة، فصار أحد أعمدة الأدب العربي الحديث.

عُرف صنع الله بالتزامه الفني والفكري؛ فرفض عام 2003 جائزة الرواية العربية في موقف أثار جدلاً واسعًا، بينما نال جوائز مهمة مثل ابن رشد وكفافيس. وظل في أعماله يكتب عن المهمشين والطبقة الوسطى، متتبعًا تحولات المجتمع المصري والعربي عبر روايات مثل (نجمة أغسطس)، (اللجنة)، (ذات)، و(شرف) التي امتزج فيها السردي بالوثائقي.

ولد صنع الله بالقاهرة، وبدأ نشاطه السياسي مبكرًا عبر انضمامه إلى حركة حدتو بتأثير من زميل سوداني، فاعتُقل بين 1959 و1964. بعد خروجه أصدر أول أعماله (تلك الرائحة) التي صودرت جزئيًا في البداية قبل أن تُنشر كاملة في القاهرة والخرطوم. عمل بالصحافة في مصر وألمانيا، ثم درس السينما في موسكو قبل أن يتفرغ للكتابة منذ منتصف السبعينيات.

ظل الأديب الراحل مرتبطًا بالسودان وجدانيًا، إذ زاره بعد ثورة أبريل 1985، وأعرب في تسجيل صوتي لاحق عن ألمه لما يعانيه الشعب السوداني من حرب وقهر. تُرجمت أعماله إلى لغات عدة ونوقشت في جامعات العالم، لتجعل من تجربته نموذجًا للأدب الملتزم الذي يتجاوز المحلية نحو أفق إنساني أوسع.

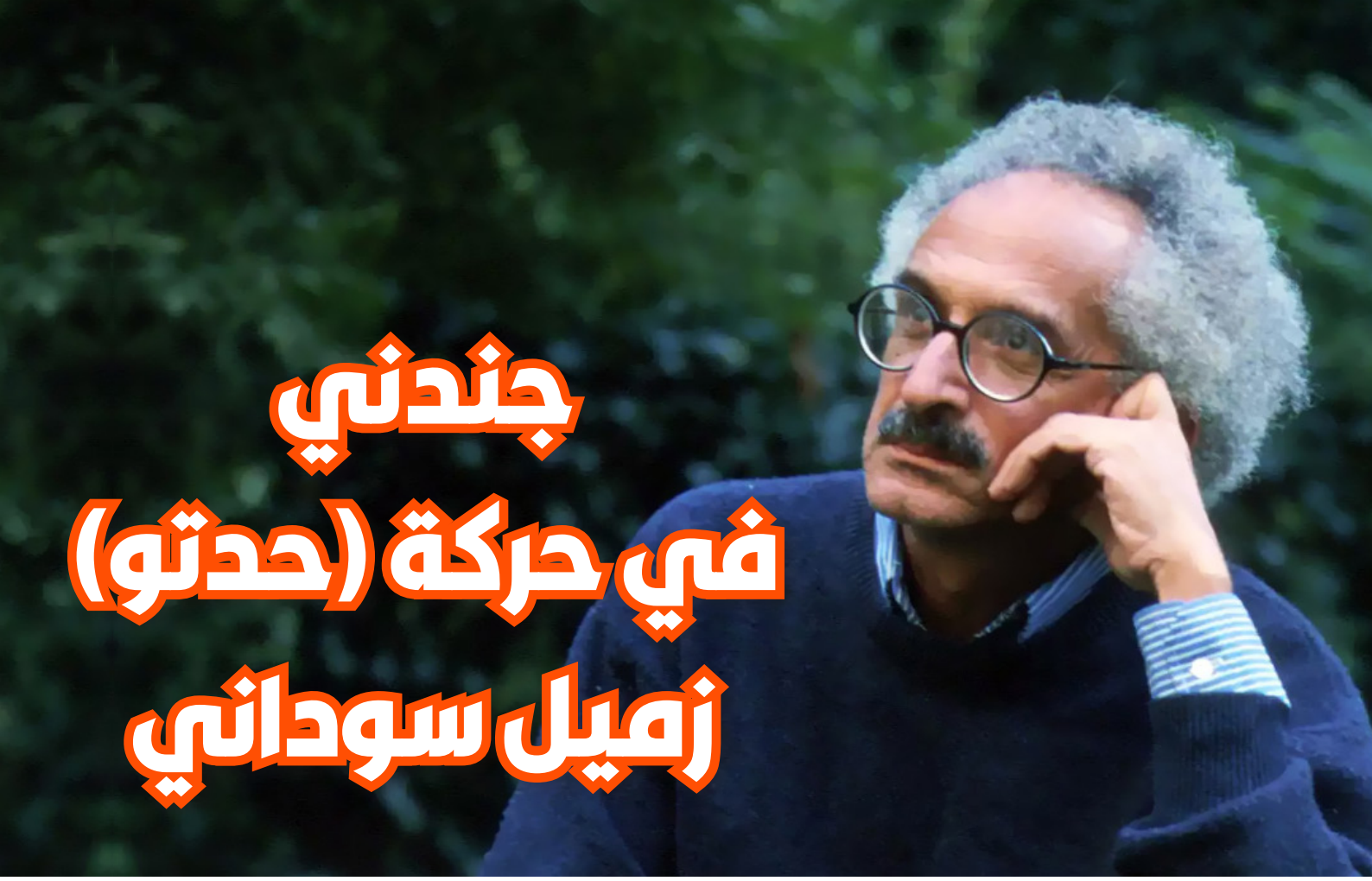

جندني في حركة (حدتو) زميل سوداني

(تلك الرائحة) صدرت في طبعتها الأولى في القاهرة.. وأعيد نشرها كاملة في الخرطوم

التوثيق في رواياتي يخدم نقد السياسي والاجتماعي

محمد إسماعيل - أفق جديد

ودعت مصر الأسبوع الماضي أحد أبرز وأهم كتابها المعاصرين الكاتب والروائي الكبير صنع الله إبراهيم، الذي رحل تاركًا إرثًا أدبيًا وفكريًا استثنائيًا. إذ تميزت أعماله بالتوثيق التاريخي ومعالجة القضايا السياسية والاجتماعية، مع حضور سيرته الذاتية في السرد الروائي.

تميز الروائي الراحل صنع الله إبراهيم بالعمق الفني والالتزام الأدبي. التزام يظهر في اختياره لموضوعاته والتعبير الفني المتماسك، لذلك أصبح واحدًا من أبرز الكتاب في ذاكرة القارئ.

أذكر أن صنع الله إبراهيم زارنا في السودان بعد الإطاحة بالديكتاتور جعفر النميري في ثورة 1985، وكان بيننا مكان حفاوة وضيافة.

حب للسودانيين

قال الروائي صنع الله إبراهيم في تسجيل صوتي بثه عبر موقع التحالف العربي من أجل السودان: «إن أشدّ ما يؤلمه هو ما يسمع عنه من أنباء الاقتتال والفتن الدموية التي يتعرض لها الشعب السوداني».

وعبر الأديب المصري عن أسفه لما يتعرض له الكتاب والمفكرون والصحافيون والشباب وكل فئات الشعب السوداني من قهر، وما وصفه بـ (الأشكال المرعبة من الاعتداء على الكرامة الإنسانية). وتحدث عن ترجمة أعماله إلى لغات عدة ومناقشتها في جامعات مختلفة. وتركزت المناقشة حول قضايا الحرية والعدالة والهوية لتتجاوز حدود المحلية. يذكر أن روايته (شرف) احتلت المرتبة الثالثة ضمن أفضل مائة رواية عربية

رفضه للجائزة:

أثار صنع الله إبراهيم الجدل برفضه استلام جائزة الرواية العربية من المجلس الأعلى للثقافة عام 2003، ونال العديد من الجوائز المهمة مثل «جائزة ابن رشد للفكر الحر عام 2004، وجائزة كفافيس للأدب عام 2017.

مهمومًا بالمهمشين:

يعتبر صنع الله أحد أهم كتاب الوطن العربي عبر تاريخ زاخر بالكتابة والنضال والمواقف السياسية المنحازة إلى الجماهير وحقوقها الاجتماعية، إذ عاش مهمومًا بالمهمشين والطبقة الوسطى. وعبر عن تطلعاتها وتحولاتها وانكساراتها عبر قلمه..

جاءت روايته (نجمة أغسطس) لتؤكد هذا الاتجاه الطليعي في الكتابة الروائية. مبرزة اتجاهه للتجديد في السرد واللغة الروائية دون أن يأتي هذا على حساب اتجاهه الواقعي والتزامه بقضية ما، وكانت هذه الرواية بمثابة شهادة روائية على رحلته إلى السد العالي. وتبعتها رواية (اللجنة) التي قدّم فيها نقدًا عميقًا لسياسات الانفتاح الاقتصادي.

وقد حظيت روايته (ذات) بشعبية هائلة عقب تحويلها إلى مسلسل تليفزيوني وكانت بمثابة تأريخ للمجتمع المصري منذ السبعينات حتى تسعينيات القرن الماضي. وفي روايته (العمامة والقبعة) اشتبك مع تاريخ الاحتلال البريطاني. أما روايته (شرف) فتمزج بين السردي والوثائقي وتقدم حياة شاب تنقلب حياته مع دخوله السجن ليرى العالم بمنظور جديد تمامًا من موقعه وراء القضبان.

السيرة :

ولد صنع الله في القاهرة عام 1937م وكان لوالده أثر كبير على شخصيته فقد زوده بالكتب والقصص وحثه على الاطلاع، فبدأت شخصيته الأدبية في التكوين منذ الصغر.

درس صنع الله إبراهيم الحقوق لكنه سرعان ما انصرف عنها إلى الصحافة والسياسة. انتمى للمنظمة الشيوعية المصرية (حدتو) فاعتقل عام 1959م وظل في السجن خمس سنوات حتى عام 1964م

نشر صنع الله أول أعماله مجموعة قصصية بعنوان (تلك الرائحة) عام 1966 وبعد خروجه من السجن عمل في الصحافة بوكالة الأنباء المصرية عام 1967 ثم انتقل إلى وكالة الأنباء الألمانية في برلين الشرقية، قبل أن يتجه في أوائل

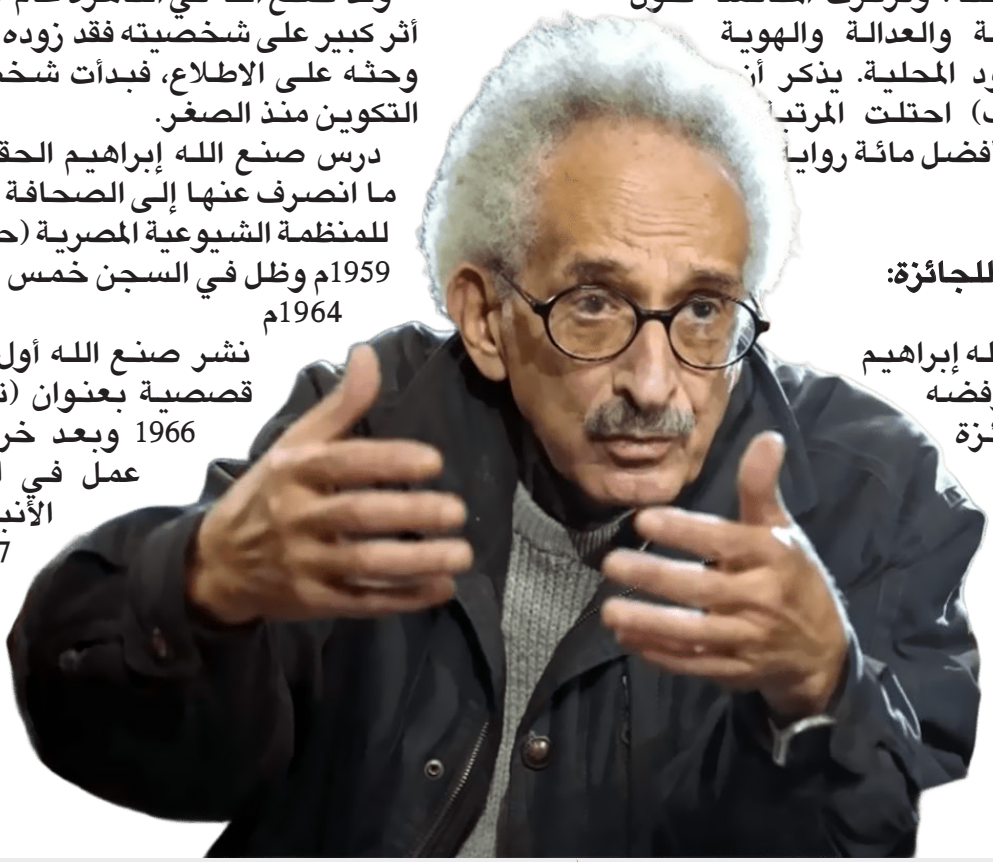

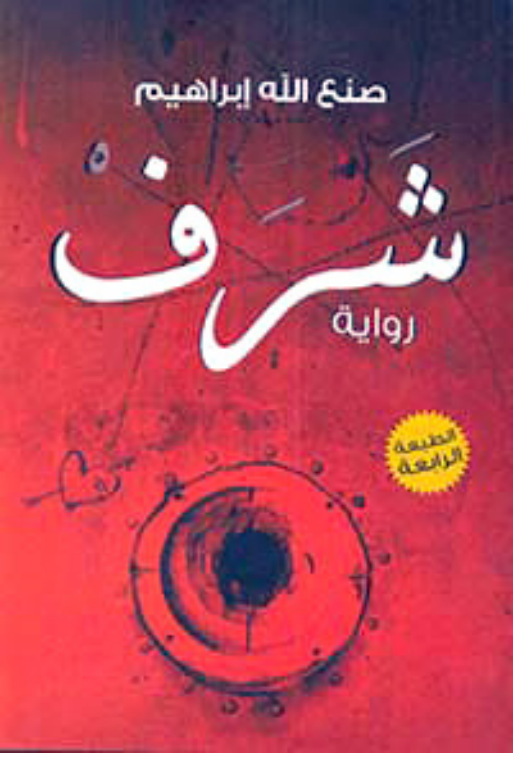

السبعينيات إلى موسكو لدراسة التصوير السينمائى وصناعة الأفلام. عاد إلى القاهرة عام 1974 في عهد الرئيس السادات وتفرغ للكتابة الحرة بشكل كامل عام 1975.

حركة حدتو :

يحكي صنع الله ملابسات دخوله «حدتو» لصحيفة دنيا المرايا فيقول: «في سنة 1954 كنت في أول سنة في الجامعة، وكنت مهووسًا بأحمد حسين، مؤسس «حزب مصر الفتاة»، وكان عنده جريدة اسمها الاشتراكية، كانت جريدة قوية جدًا، كان أهم أهدافه هو تحريك الجماهير ضد النظام. يمكننا اعتبار حركته فاشيَّة، خاصة في بدايتها، وكذلك بسبب تأثره بهتلر، لكن أغلب الناس في ذلك الوقت كانت متأثرة بهتلر، يمجدونه لأنه عدو إنجلترا، كنت أرغب في أن أنضم للحزب الاشتراكي، ولكن لم يكن لديه تنظيم، فذهبت لهم في مبنى خاص بهم في الجيزة، فوجدت عادل حسين هناك يلعب تنس طاولة (بينج بونج) كي يكون قريبًا من الجماهير (ساخرًا)، وبدأت مناقشات معهم، ثم ذهبت إلى كليتي، كلية الحقوق، وقمت بعمل جريدة حائط باسم: الحزب الاشتراكي دون علمهم. كانت المناقشات تدور بين الاشتراكيين وبين حدتو ومنهم من يتهمك بأنك (مُخَوَّخ) لا تفقه شيئًا، وانتهى هذا الصراع القصير بأن انضممت لحركة حدتو. حيث جندني أحد الزملاء من السودان.

مصادرة تلك الرائحة:

تلك الرائحة هي الرواية الأولى التي صدرت لصنع الله إبراهيم، صدرت الطبعة الأولى 1966، ثم صدرت طبعة غير كاملة في القاهرة 1966 عن دار الثقافة الجديدة، إلى أن صدرت لها طبعات كاملة في عام 1986 في كل من القاهرة والخرطوم عن دار نسق. وأصبحت الرواية رغم بساطتها حدثًا أدبيًا لأن الكاتب فيها كان يقرر نوعًا خاصًا من الواقعية يتحدى به الذوق العام المستقر. ويدخل بالتعبير إلى مجالات كان يجفل من الولوج إليها الأدباء الذين يخافون على اسمهم وسمعتهم.

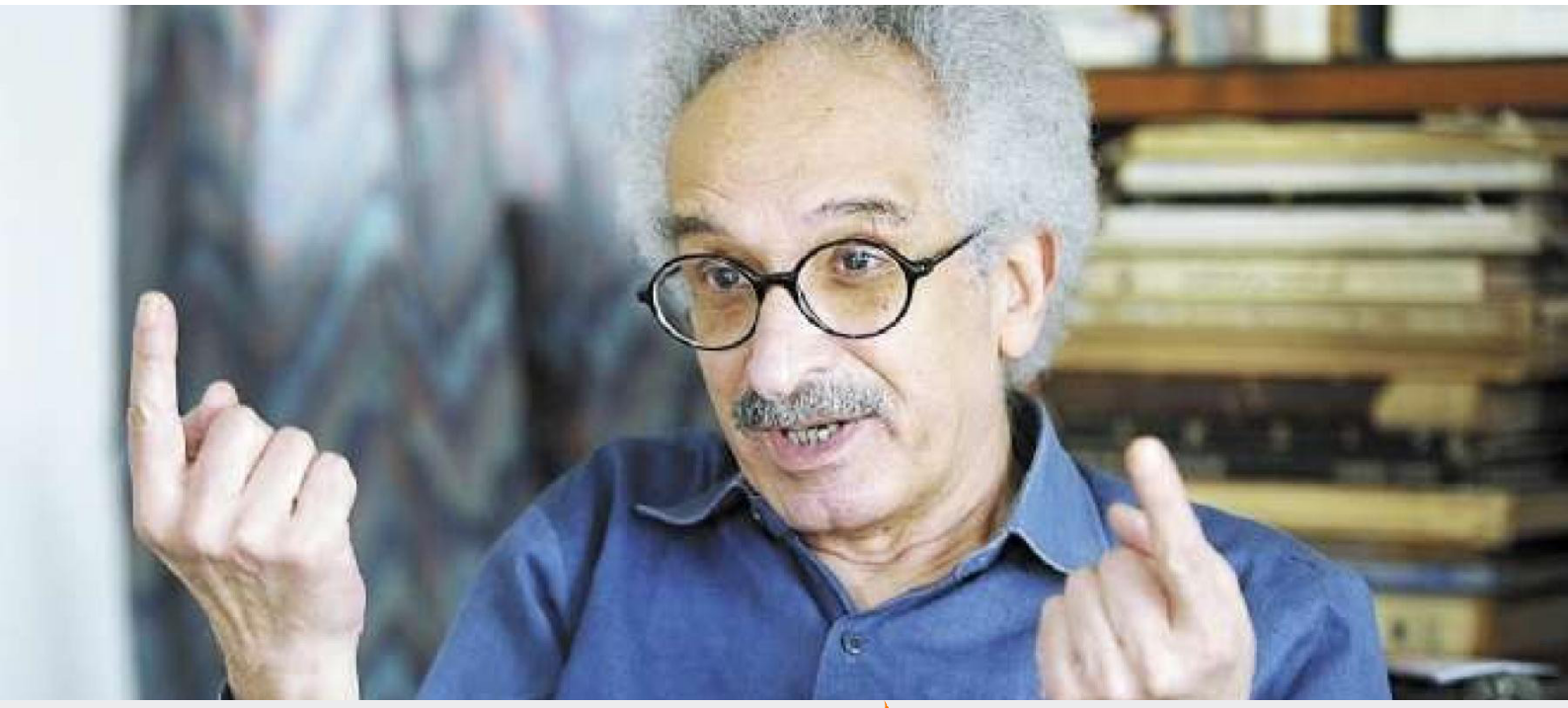

من طبيب أسنان إلى فنان:

كيف لجأ سوداني منفي إلى التصوير الفوتوغرافي كمتنفس للصدمة

ملخص

هاشم نصر، طبيب أسنان سوداني تحول إلى مصور فوتوغرافي، استخدم فنه كنافذة للتعبير عن الصدمة التي خلفتها الحرب. من أبرز أعماله سلسلة «لعنة الذهب» التي توثق كيف تحول المعدن النفيس إلى وقود للصراع، فيما أصبح اللون الأحمر رمزًا دائمًا للفقدان وإراقة الدماء في صوره.

بعد اندلاع الحرب في أبريل 2023، علق نصر في القاهرة ولم يعد إلى الخرطوم، حيث نُهب منزل عائلته. وتشير إحصاءات الأمم المتحدة إلى عبور أكثر 4 مليون سوداني إلى الخارج، بينهم 1.5 مليون إلى مصر، إضافة إلى اكثر من 11 ملايين نازح داخليًا.

تجسد أعماله معاناة الحرب والنزوح، مثل صورة «شظايا الوطن» التي عكست آثار الصراع على أسرته، بينما استلهم من وفاة عمه بسبب غياب العلاج تحت الحصار رمزًا لفشل النظام الصحي وسط الحرب.

نال نصر جوائز ومنح دولية، واعتمد الأقنعة في صوره لحماية هوية العارضات، مؤكدًا أن فنه لم يعد مجرد وسيلة شخصية، بل أداة لتوثيق المأساة السودانية ومخاطبة الذاكرة الجمعية في ظل تجاهل عالمي للحرب.

بقلم: كامل أحمد – الغارديان

في إحدى أكثر صوره شهرة، «لعنة الذهب»، يكشف المصور السوداني هاشم نصر كيف تحوّل الذهب من نعمة اقتصادية محتملة إلى لعنة سياسية وأمنية، بعدما أصبح وقودًا لصعود قوات الدعم السريع شبه العسكرية، التي استغلته لتعزيز قوتها العسكرية، ما جعل المعدن النفيس مصدرًا لعدم الاستقرار بدلًا من الازدهار في السودان.

بالنسبة لنصر، بات اللون الأحمر منذ اندلاع الحرب رمزًا دائمًا للفقدان وإراقة الدماء. قبل 2023، كانت شخصيات أعماله تتزين بالزهور وتحمل أشكال قلوب، في محاولة لتحدي الصورة النمطية للرجولة في الثقافة السودانية. أما اليوم فقد حلّ القماش الأحمر المتدفق محل تلك الرموز، ليتحوّل إلى علامة متكررة في صوره، تعكس الصدمة الجماعية التي يعيشها السودانيون.

يصف نصر فنه بأنه «أشبه بالحلم»، ويضم مشروعه «عن الحرب والنزوح» مجموعة من الصور السريالية لشخصيات مجهولة الهوية، ترتدي الجلابية السودانية البيضاء التقليدية، وتُخفي وجوهها أقنعة مخروطية الشكل. في إحدى هذه الصور، يجلس شخصان أمام جهاز تلفاز تتدفق منه قطعة قماش حمراء، مشهد يقول إنه استوحاه من جلوسه مع عائلته أمام الأخبار القادمة من السودان: «كل ما نراه هو دمار، دماء، وفقدان».

من أبرز أعماله أيضًا صورة بعنوان «شظايا الوطن»، أُنتجت بعد عام من بدء الحرب، لتجسد تأثير الصراع على أسرته. وفي لقطات أخرى، يتدلى القماش الأحمر من حقيبة سفر أو يمتد بين المباني، كرمز للنزوح والرحيل القسري. الحرب، كما يؤكد نصر، غيرت علاقته بفنه؛ إذ انتقل من كونه وسيلة شخصية للتعبير إلى أداة للتوعية بأكبر أزمة إنسانية في العالم، وفق توصيف الأمم المتحدة.

من الخرطوم إلى القاهرة

في أبريل 2023، كان نصر يقضي عطلة قصيرة في مصر، حين اندلع القتال في السودان، ولم يتمكن من العودة. الآن يعيش في شقة صغيرة بالقاهرة، بعد أن أدرك أن منزل عائلته الكبير في الخرطوم نُهب على يد الميليشيات.

تُظهر إحصاءات الأمم المتحدة أن أكثر من 4 مليون سوداني فروا من البلاد منذ اندلاع الحرب، وصل منهم 1.5 مليون إلى مصر، فيما توزع الباقون على دول الجوار. وبينما نجت أسرته المقربة من النزوح الداخلي، بقي كثير من أقاربه بين 11 ملايين نازح داخل السودان.

إحدى القصص المؤلمة التي يرويها هي وفاة أحد

أعماله بعد شهرين من اندلاع الحرب. كان العم بحاجة لجلسات غسيل كلى منتظمة، لكن الحصار والاشتباكات منعته من الوصول إلى المستشفى: «كنا نطلب منهم الانتقال إلى مكان آمن أو الحصول على أدويته، لكن كل محاولة للخروج كانت تنتهي باشتباكات في الشوارع».

بدأت علاقة هاشم بالفن خلال جائحة كوفيد-19، حين أُغلقت عيادته لطب الأسنان. استغل تلك الفترة في التقاط صور ذاتية، مستخدمًا أصدقاءه كعارضين. ومع مرور الوقت، أصبح التصوير شغفه الأول، رغم أنه لا يزال يمارس طب الأسنان جزئيًا.

أعماله، التي ينشر معظمها على منصة إنستغرام، حظيت باهتمام متزايد في أوساط الفن العالمية. في العام الماضي، فاز بجائزة التصوير الفوتوغرافي لشرق إفريقيا، وحصل على منح فنية، وأدرج اسمه في قائمة «الأشخاص الذين يجب متابعتهم» في مجلة تصوير فوتوغرافي بريطانية مرموقة.

أقنعة لحماية الهويات

ابتكر نصر الأقنعة الغريبة التي تميز شخصيات صوره كحل إبداعي لإخفاء هويات العارضات، حفاظًا على سلامتهن وسلامة عائلاتهن في السودان، حيث قد يعرضهن الظهور لمخاطر حقيقية. بعض أعماله تحمل رسائل مباشرة عن الحرب، مثل سلسلة «لعنة الذهب» التي تُظهر رجالًا يقفون فوق امرأة ملفوفة بقماش ذهبي، رمزًا لنهب موارد البلاد على يد قوات الدعم السريع.

لكن معظم مشاريعه تنطلق من هدف أعمق: بناء

رابط عاطفي بينه وبين السودانيين الآخرين الذين عاشوا تجارب مشتركة من النزوح والخسارة. يرى نصر أن الفن يمنحه وسيلة لمخاطبة الذاكرة الجمعية لبلاده، وتوثيق مأساة قد تُنسى بمرور الوقت.

يعبر هاشم نصر عن استيائه من ضعف الاهتمام العالمي بالحرب السودانية، سواء على وسائل الإعلام أو منصات التواصل الاجتماعي: «أشعر أن هذه الحرب مُهملة، وهذا ما يدفعني إلى الاستمرار في الحديث عنها من خلال أعمالي». بالنسبة له، العدسة ليست مجرد أداة فنية، بل نافذة يطل منها على وطنه البعيد، ويحاول عبرها إيصال صوته وصوت من لا صوت لهم.

المسرح السوداني.. فترة التأسيس

السر السيد

ملخص

شهد المسرح السوداني فترة تأسيس مهمة مع إنشاء المسرح القومي عام 1967، حيث بدأت المواسم المسرحية المنتظمة، وانتقل المسرح من نشاط أهلي إلى مؤسسة تحت رعاية الدولة بميزانيات ونظم واضحة، كما توسع بإنشاء مسارح جديدة في مدن السودان الكبرى.

برزت أسماء رائدة مثل الفكي عبد الرحمن والفاضل سعيد، وتم استدعاء رواد الثلاثينيات والخمسينيات لتقديم أعمال كلاسيكية إلى جانب التجارب الطليعية، مما أتاح تنوعاً في أشكال المسرح من الكوميديا إلى الواقعية والمسرح المعاصر.

شهدت الفترة لاحقاً تأسيس معهد الموسيقى والمسرح عام 1969 (أصبح لاحقاً كلية الموسيقى والدراما)، وانتخاب اتحاد الممثلين السودانيين، وافتتاح مسارح حديثة كقاعة الصداقة، إضافة إلى توسع النشاط المسرحي الشبابي عبر مراكز متخصصة في مختلف الولايات.

منذ الثمانينيات والتسعينيات ظهر القطاع الخاص والفرق المسرحية العديدة، وأقيم أول مهرجان مسرحي عام 1990، كما ازدادت المشاركة في المهرجانات العربية والأفريقية، وبرزت أسئلة محورية حول هوية المسرح السوداني، وضرورة تأسيس مسرح يستلهم موروثات الفرجة الشعبية.

كأي ظاهرة ثقافية كانت للمسرح السوداني بدايات تطور من خلالها وصولًا إلى ما يمكن وصفه بفترة التأسيس، وهي الفترة التي نحن بصدد الكتابة عنها.

يمكن اعتبار الفترة الممتدة من 1967م تاريخ إنشاء المسرح القومي وما بعدها هي فترة التأسيس وفترة العمل على توطين المسرح في الحياة السودانية، فقد شهدت هذه الفترة بداية ما عرف بالمواسم المسرحية المنتظمة، التي عنت فيما عنت أن المسرح أصبح يقع تحت رعاية الدولة بعد أن كان في الفترات السابقة نشاطًا يرعاه المجتمع، فقد أصبح محكومًا «بميزانيات ونظم رقابية وتقسيمات وظيفية». أيضًا تم إنشاء عدد من المسارح في مدن السودان الكبرى.

لقد رأت عبقرية الرائد المسرحي الفكي عبد الرحمن، مدير المسرح القومي في ذلك الوقت، وأول من ابتدع فكرة الموسم المسرحي، أن يأتي برموز بدايات التأسيس في الثلاثينيات كالكاتبين المؤسسين خالد أبو الروس وإبراهيم العبادي، وبرموز الخمسينيات وبدايات الستينيات كالأستاذ الفاضل سعيد، وذلك عندما تم عرض مسرحيات « المك نمر» للعبادي و»إبليس» لأبو الروس و»أكل عيش» للفاضل سعيد، في الموسم المسرحي الأول 1967-1968، وأكثر من ذلك فقد عملت المواسم المسرحية بعد ذلك على إتاحة الفرص للفرق المسرحية الطليعية كجماعة المسرح الجامعي «جامعة الخرطوم»، التي قدمت مسرحيات، «مأساة الحلاج» و»ماراصاد» و»حفل سمر من أجل 5 حزيران»، وهنا يقول البروفيسور سعد يوسف في كتابه «أوراق في قضايا الدراما السودانية»: (خلال نهضة الستينيات والسبعينيات انفتح الباب على مصراعيه لتقديم ألوان مختلفة من العروض المسرحية، فكانت مواسم المسرح القومي الأولى تجميعاً لبعض عروض الثلاثينيات ومسرح الكوميديا جنباً إلى جنب مع اتجاهات الواقعية وألوان المسرح المعاصر).

إن إنشاء المسرح القومي وبداية مواسمه في

عام 1967م هو ما شكل أساس النهضة المسرحية مستقبلاً، فعبر هذه المواسم بدأ حضور المرأة واضحاً خاصة في مجال التمثيل، كما شهد العرض المسرحي تطوراً في شكله بمساهمات خريجي كلية الفنون الجميلة والتطبيقية، «صالح الأمين، صلاح تركاب، الطيب الشيخ وغيرهم» الذين تم استيعابهم في مؤسسة المسرح القومي، إضافة إلى المساهمات النوعية التي قدمها الذين ابتعثهم المسرح القومي بمختلف تخصصات فن المسرح إلى مصر وغيرها.. باختصار لقد شكل المسرح القومي أساساً متيناً للنهضة المسرحية في السودان فهو من فتحها على تجارب المسرح المختلفة والمتنوعة إقليمياً ودولياً. أيضاً شهدت هذه الفترة إنشاء معهد الموسيقى والمسرح 1969م الذي تطور مع الأيام ليصبح كلية الموسيقى والدراما بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مشكلاً خطوة متقدمة في تأسيس المسرح وتوطينه، كما شهدت هذه الفترة انتخاب أول لجنة تنفيذية لاتحاد الممثلين السودانيين عام 1975 كما أفادني الأستاذ علي مهدي، وكذلك افتتاح أول مسرح في السودان على مواصفات عالمية هو مسرح قاعة الصداقة بالخرطوم 1976م، كما تم افتتاح قصر الشباب والأطفال الذي أصبح مسرحه فيما بعد متنفساً للنشاط المسرحي الشبابي خاصة عندما بدأت فيه كورسات الدراما عام 1977م، وأُنشئت كذلك مراكز للشباب في مختلف ولايات السودان بدءًا من العام 1974م، وأتاحت هذه المراكز فرصاً مقدرة لهواة المسرح (كما تم إنشاء قسم خاص بالدراسات المسرحية بمعهد الدراسات الإضافية بجامعة الخرطوم عام 1983م، الذي كان من أهدافه المساهمة في خلق جيل واع يتمتع بالعلم والمعرفة والإلمام بفن المسرح والدراما، حسب إشارة الأستاذ عبدالله الميري في كتابه «المسرح في السودان-أوراق للذاكرة».

في مطلع التسعينيات شهدت هذه الفترة وبمبادرة ومثابرة من الفنان الكبير محمد شريف علي إنشاء «المسرح الأهلي بأمبدة»، وهو مسرح خاص مما يعد خطوة كبيرة في توزيع الإبداعات المسرحية، وتمكين أكبر قاعدة من الناس في التمتع بها والاستفادة منها. وهكذا يتسع الحراك وتتسع دائرة الاهتمام بالمسرح في هذه الفترة رسمياً وشعبياً، فيظهر القطاع الخاص وينشط في العمل المسرحي في مطلع الثمانينيات، وتظهر الفرق والجماعات المسرحية التي وصل عددها في بعض الأحيان ما يفوق الثلاثين فرقة وجماعة مسرحية، وتظهر مهرجانات المسرح في العام 1990م عندما أقام اتحاد الممثلين السودانيين أول مهرجان مسرحي في السودان هو مهرجان «الفرق والجماعات المسرحية»، وتظهر مختلف الدراسات والبحوث والكتب في المسرح السوداني، ويبدأ الكتاب المسرحي السوداني في الظهور منذ منتصف التسعينيات، كما تزداد مشاركات السودان في المهرجانات العربية والأفريقية إلا أن أهم ما شهدته هذه الفترة هو ظهور الأسئلة المركزية ذات الطابع المعرفي حول هوية المسرح السوداني، التي تمخضت في الدعوة لمسرح سوداني يقوم على موروثات الفرجة في الثقافات السودانية، كدعوة د. يوسف عيدابي المعروفة بـ»مسرح لعموم السودان».. هذه الأسئلة التي استنبطت أسئلة حول التجريب في المسرح وحدوده، وحول وضعية العرض المسرحي السوداني، وحول موقع الجمهور في العملية المسرحية وغيرها من الأسئلة.

نشير إلى أن فترة التأسيس هذه وما صحبها من نهضة مسرحية لم تكن على سوية واحدة وهي تسعى لتوطين وتمكين المسرح في الحياة السودانية، لا على مستوى العرض ولا على مستوى التنظير ولا على مستوى السياسات التي حكمت المسرح، شأنها كأي ظاهرة مجتمعية بالضرورة محكومة بالشروط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تحيط بها، ومحكومة بشرطها الخاص المتمثل في وضع الظاهرة نفسها من حيث الموقع الذي يحتله المسرح ويحتله المسرحي في اللحظة التاريخية المعينة وهو موقع بالضرورة قابل للمد والجزر.

من هذه الفترة نستخلص الآتي:

1) تحول المسرح من حالة كونه نشاطاً أهلياً تدعمه مؤسسات المجتمع إلى نشاط مؤسسي تدعمه وترعاه وتراقبه الدولة.

2) اتساع دائرة العمل المسرحي ليشمل العاصمة ومدن السودان المختلفة.

3) التحول النوعي في مهمة المسرح ودوره، فلم يعد منحصراً في دعم الأعمال الخيرية وموضوعات التعبئة، بل تعداهما ليعبّر عن مجمل قضايا اجتماعية ووجودية وفكرية ومعرفية.

4) تحوّل من حالة كونه فعلاً يقوم به الهواة ومحبو المسرح إلى علم تنشأ له المؤسسات الأكاديمية.

5) انفتح المسرح بصورة لم تكن موجودة في الفترات السابقة على تيارات المسرح العالمي المختلفة، فقد عرفت التجربة المسرحية السودانية، مسرح الشارع والمسرح الوثائقي والمسرح الاحتفالي ومسرح المقهورين وغيرها من الاتجاهات والتيارات.

6) تصعيد الأسئلة المركزية حول هوية المسرح السوداني ووضعيته في سياق التجربة الإقليمية والدولية.

المحليون.. منتخب الأمل

مهند منير

ملخص

يتناول الكاتب مشاركة منتخب السودان للمحليين في بطولة أفريقيا للمحليين، مسلطًا الضوء على، دور كرة القدم في صناعة الفرح المؤقت وسط أجواء الحرب.

يرى أنه رغم الحرب التي تعصف بالسودان، ظلّت كرة القدم ترسم لحظات فرح مؤقتة للسودانيين، وجاءت بطولة أفريقيا للمحليين لتفتح بابًا أمام المواهب المحلية للتألق.

يذكر أن منتخب السودان تعادل مع الكونغو، ثم حقق فوزًا تاريخيًا على نيجيريا برباعية نظيفة، ليتعلق الأمل على مباراة السنغال، حيث بث المدرب أبياه حماسًا في اللاعبين وجعلهم يحلمون بالبطولة.

و يؤكد أنه رغم أخطاء الإدارة، وفّر الاتحاد الحالي دعماً لوجستياً مهماً في ظل أزمات السياسة والحدود، لتظل كرة القدم شغفًا طاغيًا عند السودانيين يتجاوز ثقل الحرب والضيق المعيشي.

في أعوام الحرب الكارثية الدائرة في السودان كانت كرة القدم ترسم الفرح (ولو مؤقتًا) في شفاه السودانيين في كل بقاع الأرض. نتابع هذه الأيام بطولة أفريقيا للمحليين والمقامة في ثلاث دول (كينيا - تنزانيا - أوغندا).

هذه البطولة التي خصصها الكاف لإعطاء فرص للاعبين الموجودين في دورياتهم المحلية، أي دون محترفي أوروبا وغيرها من القارات مما يتيح مشاهدة مواهب جديدة، وهذا ما لم يكن يحدث على مستوى منتخبنا قبل سنوات.

قائمة المشاركين في منتخبنا الأول ومنتخب المحليين كانت (نسخ ولصق) باعتبار أن كل لاعبي المنتخب يلعبون داخل الدوري السوداني، لكن تأتي هذه النسخة مغايرة لما كان.

ما حدث في السنوات القليلة الماضية من انفتاح وكلاء اللاعبين مع نضج عقلية الاحتراف لدى الشباب دفع بعض الأسماء لتغزو سوق الانتقالات.

العديد من اللاعبين فضل الاحتراف وصقل تجربتهم مع تحديات جديدة خارج السودان، فتحولنا إلى البلاد التي تستعرض بمنتخبين يشارك المحلي منه حاليًا، ويشارك الأول نهاية العام في كأس الأمم الأفريقية في المغرب.

بنظرة فنية تابعنا تعادل منتخبنا في مباراته الأولى أمام الكونغو ثم انتصار تاريخي أمام نيجيريا برباعية نظيفة، رباعية نظيفة أسعدتنا كثيرًا لأن دفاعاتنا دائمًا ما تتعرض للانهيار أمام الخصوم.

تحدٍّ أخير أمام السنغال نحتاج فيه نقطة على الأقل للتأهل لكن تصريحات الغاني (أبياه) مدرب منتخبنا أمام اللاعبين في غرفة الملابس جعلتنا نحلم بالبطولة، فقد حفزهم بذلك.

رغم أخطاء كثيرة يرتكبها إداريو المنتخب، لكن شهادة حق تقال في اتحاد معتصم جعفر الحالي، وفي ظروف المباريات الهامة تحديدًا توفر كل ما يمكن توفره بعلاقة الاتحاد مع اتحادات أخرى، وهذا يتطلب كثيرًا من الجهد خصوصًا مع توتر العلاقات السياسية مع دول الجوار.

رغم جراحات السودانيين أقولها دائمًا إن كرة القدم تحظى بشغف ومتابعة في مجتمعنا أكثر بكثير من دول زرتها ورأيت كيف تتغلب هموم المعيشة أو رغدها على حب كرة القدم.

فرصة تاريخية..

صقور الجديان في مواجهة العبور للدور الثاني أمام السنغال

ملخص

مساء الثلاثاء 19 أغسطس وعلى أرض ملعب أماني في زنجبار، يقف منتخب السودان أمام فرصة تاريخية لصياغة فصل جديد في رحلته ببطولة أمم أفريقيا للمحليين. وبعد انطلاقة قوية في المجموعة الرابعة وتصدر مستحق بأداء هجومي مبهر، يدخل «صقور الجديان» اختبارًا حاسمًا أمام السنغال، حاملة اللقب. مواجهة لا تختزل في ثلاث نقاط فقط، بل تمثل بوابة عبور نحو الدور الثاني بعد غياب طويل، وتجسّد صدامًا بين فلسفتين مختلفتين: اندفاع هجومي جريء يرفعه السودان، وانضباط تكتيكي هادئ يحمله بطل النسخة الماضية، السنغال.

السودان: ثقة هجومية وإصرار على الفوز

منذ تولي الغاني كواسي أبياه قيادة المنتخب السوداني، تغيّرت ملامح الفريق ليصبح أكثر جرأة وحيوية، معتمداً على أسلوب هجومي صريح. ويؤكد المدرب المخضرم أن فلسفته واضحة:

«لا ألعب من أجل الدفاع. أفضل وسيلة لحماية مرمانا هي أن نهاجم. نحن نلعب من أجل الأهداف».

تصدر السودان مجموعته بعد انتصار كاسح 4-0 على نيجيريا، ويكفيه التعادل لضمان مقعد في ربع النهائي، لكن أبياه لا يريد الاكتفاء بالمطلوب، بل يبحث عن الفوز لإرسال رسالة قوية.

يدخل السودان اللقاء وهو يحافظ على سجل خالٍ من الهزائم منذ قرابة عام كامل، آخرها في نوفمبر 2024 أمام النيجر في تصفيات كأس الأمم الأفريقية، بعد أن كان قد ضمن تأهله مسبقاً. هذا السجل عزز من ثقة اللاعبين بأنفسهم، خاصة بعد تنوع الأهداف في المباريات الأخيرة بين الكرات الثابتة واللعب المفتوح.

ويُدرك أبياه طبيعة المنافسة في البطولة، قائلاً:

«من الصعب تسجيل الأهداف من اللعب المفتوح. الكرات الثابتة سلاح مهم ونحن نعمل على استغلالها».

لم تقتصر بصمة المدرب على الجانب التكتيكي فقط، بل امتدت إلى الجانب الثقافي. فقد نجح أبياه في الاندماج داخل المجموعة السودانية عبر مساعديه الناطقين بالعربية، ما ساعد على خلق وحدة قوية بين اللاعبين.

ويؤكد القائد فارس عبدالله أن روح الفريق هي العامل الأهم:

«الثقة المتبادلة بيننا تجعلنا نؤدي بشكل أفضل. أمام السنغال سنرتقي لمستوى التحدي».

السنغال: هدوء البطل ورغبة كتابة التاريخ

في الجانب الآخر، يقف منتخب السنغال بثقله وقيمته، بطلاً للقارة في نسخة 2022، وحاملاً لطموح الدفاع عن اللقب.

المهاجم الواعد ليباس غاي، الذي خطف الأضواء أمام نيجيريا، يصرّ على أن نجاحه فردياً ليس سوى انعكاس للروح الجماعية:

«كرة القدم لعبة جماعية. فزت بجائزة رجل المباراة لكنني ألعب من أجل الفريق، وهذه المواجهة قد تكون الأهم في مسيرتي».

أما المدرب سليمان ديالو، فيصف اللقاء بأنه «ربع نهائي مبكر»، مؤكداً أن الفوز الكبير للسودان على نيجيريا قلب حسابات المجموعة رأساً على عقب،

لكنه شدد على أن فريقه جاهز:

«نحن أبطال أفريقيا، لكن الماضي يبقى في الماضي. هذه بطولة جديدة وفريقي متعطش لكتابة تاريخه الخاص».

يشير ديالو إلى تفوق فريقه مقارنة بالنسخة السابقة:

«في 2022 كنا نملك ثلاث نقاط قبل الجولة الأخيرة من دور المجموعات، واليوم نملك أربع نقاط. هذا يعني أننا في وضع أفضل».

أرقام وإحصائيات سريعة

المواجهات المباشرة: هذه أول مواجهة رسمية بين السودان والسنغال في تاريخ بطولة أمم أفريقيا للمحليين.

وضعية المجموعة الرابعة قبل الجولة الأخيرة:

السودان – 4 نقاط (+4)
السنغال – 4 نقاط (+1)
الكونغو – 2 نقاط (0)
نيجيريا – 0 نقاط (-5)

السيناريوهات:

فوز أي من الفريقين يضمن له الصدارة والتأهل المباشر.

التعادل يؤهل السودان والسنغال معاً، ويقصي الكونغو.

فوز الكونغو على نيجيريا قد يخلط الأوراق إذا خسر أحد الفريقين الكبيرين.